# إلا هــي

رواية

نادية كيلانـي

إلا هي: رواية
نادية كيلاني
الطبعة الأولى:
الناشر:
جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة
رقم الايداع:

# إهـــــداء

**إلى القلوب التي تحترق في صمت**
**انتصارا للمباديء**

**نادية كيلاني**

وكأنما يضعك ألمك واشتياقك أمام مرآة صافية،
لكن عينيك المنهكة تخشى النظر وتشفق
من رؤية وجهك الباكي

جلال الدين الرومي

## (نادين)

# بداية أولى

التفَّتِ الممرضات حول مائدة الإفطار الصباحية.. فهو الوقت المناسب الذي تقضينه مع بعضهن البعض، وحول نادين زميلتهن المنكوبة في حظها يواسينها ويخفِّفن عنها مصابها..

في كل يوم، وفي ظل تلك الأحداث المتلاحقة يجدن موضوعا خطيرا وسلبيًّا يتبادلن حوله الحوار..

الغلاء المتوحش يلتهم الغلابة – رفع أسعار الوقود وتذاكر المترو يرهق الموظفين– خروج سيارة عن المسار الطبيعيّ تسبب لها في حادث أليم – انفجار كنيسة مثلا دعما للفتنة الطائفية.. تفجير حافلة للسياح.. المهم أي عمل إرهابي يزهق الأرواح بلا شفقة– وحدِّث عن التصفيات الجسدية والمحاكمات الظالمة والمختفين قسريًّا بلا حرج.. وغيره.. وغيره..

وكان موضوع اليوم، الذي بدأت به أمل قائلة:

– ما آخر أخبار الرجل الذي قتلوه في بيته؟!

تردُّ أنعام:

تقصدين الذي وجدوه مقتولا هو وزوجته وابنيه.؟!!

– لا.. لا.

تسأل عنايات:

– أي رجل يا أمل؟

– جمال خاشقجي.. موضوع الساعة يا بنات.

– تقصدين الذي اغتالوه في السفارة السعودية.!!

– نعم هو !!

– ولماذا تقولين في بيته؟!

– أليست سفارته هي بيته الذي يجب أن يجد فيه الأمان؟!!

– صدقت والله.. الدنيا ليس لها أمان.

ترد عنايات:

– ذهني حتى الآن لا يستوعب ما حدث!! لا أصدِّق أن خمسةَ عَشَرَ شخصا يتفقون على قتل رجل واحد أعزل بدم بارد.

ترد أنعام:

– أقلتِ: يتفقون؟!! ولماذا يتفقون؟! ليس لهم ثأر عنده.. هم ينفذون الأوامر.

تقول أمل:

– وهل ما فعله يستحق تلك القِتلة البشعة؟! ربنا على الظالم.

ترد زميلتها:

– يقولون: كان معه ساعة سجلت كل ما حدث.

– ليست الساعة.. الفضل في الكاميرات التركية.. فضحتهم.

تضحك أنعام وتقول:

– أتعرفن يابنات ما الشيء الإيجابيُّ في هذا الموضوع؟

قالت أمل:

– أفيه شيء إيجابي؟!!

– قالت عنايات:

– ما فيه إلا كل شر وغدر وظلم.

عادت أمل تقول:

– ما هو الشيء الإيجابيُّ يا شيخةَ العارفين؟!

– أننا تعوَّدنا على نطق اسم خاشقجي بسهولة.. هاهاها

تقذفها عنايات بما في يدها.. تضحك أنعام وتتفادى القذيفة، وهي تصفِّق بكفَّيها.

طوال النقاش نادين صامتة تنقِّل عينيها بينهن دون كلام.. فتفاجئها أمل وهي تضع لقمة في فمها:

– ما لك صامتة يا نادين؟! ألا تعرفين هذا الموضوع؟!

ترد بلا مبالاة:

– أعرفه بالطبع، موضوع قتل صحفي سعودي اسمه جمال خاشقجي في القنصلية السعودية التي في تركيا.

– ومالك تكرين الكلام كأنه درسا تحفظينه للإمتحان.

– نعم.. نحن في امتحان كبير وصعب.

– وما رأيك في هذا الموضوع؟

تتنهَّد وتقول:

– هكذا الدنيا.. القوي يسحق الضعيف.. وصاحب السلطة يشتري الضمائر.. ودائما هناك من يبيع ضميره..

تتنهد وتكمل:

– وأمام المال يفعل أي شيء.

تندهش أمل.. فهو ليس منطقها:

– ما هذا الرد يا نادين؟! ألا تعبئين بموضوع بشع كهذا؟!

– وماذا في وسعي أن أفعل؟! وهل نفعت نفسي؟!!

تنتبهت الممرِّضات لكلام نادين فتبادلن النظرات.

قالت أمل صديقتها المقرَّبة، وهي تربِّت على ظهرها:

– إن شاء الله بعدما تضعين مولودك سيعود إليك زوجك.. لا يمكن أن يستغنى عن ابنه وأم ابنه.

قالت عنايات:

– الحمد لله أنه لم يطلِّقك بعد.. لو كان كرهك فجأة كما تقولين لطلَّقك فجأة أيضا.

قالت نادين:

– لقد طردني من بيته.. طردني بحملي ولم.....

– لا تهتمي لهذا يا نادين، كانت ساعة شيطان.. سيعود إليك.. وغدا تقولين: صدق كلام عنايات.

قالت أنعام وهي تمثل ما تقوله:

– أتخيَّله وهو يحمل ابنه على ذراعه، ويضع الذراع الأخرى حول كتفك.. وأنتما تتبختران في الشارع.

قالت عنايات بدهشة:

– في الشارع!!.. ألا تدْعين لهما بسيارة.

تضحك أنعام بصوت عال وتقول:

– ربنا يعطيهم.. أتمنى لهما كل الخير.

تضحك ثانية وتقول:

– حتى ولو عربة يجرَّان فيها المحروس ابنهما.

تشير أمل بيدها ليصمتن؛ فنادين لم تضحك ولم تتجاوب في الحوار.. وقد بدأت الدموع تنحدر على خديها، تلتفت إليها أمل مواسية:

– هانت يا حبيبتي.. أنت في شهرك السابع.. شهران ليس إلا ويأتي إليك راكضا ويعتذر عن طرده لك ووعده بطلاقك.

ثم تصنعت المزاح:

– لابد لكل إنسان أن يكون لديه أمل في الحياة.

تضحك البنات بصوت عال بينما نادين تبسَّمت بمرارة وقالت:

– أتظنين أنه يرجع لي من أجل ابنه؟!.. لو كان كما تقولين ما طردني بابنه بعد شهرين من الحمل..

– تنكِّس رأسها وتمسح دمعها وتقول:

– لا أنسى صراخه في وجهي وهو يقول:

"لولا ابني لطلقتك حالا.. ضعيه ويفعل الله ما يشاء..

ثم تتنهد وتقول:

– ولم ينس أن يقول لي:

"وحتى ذلك اليوم لا تدَعيني أرى وجهك".

تقول أمل:

– إذن ضعيه ويفعل الله ما يشاء.

تقول أنعام:

– سيكون ابننا جميعا يا نادين فقد لاحظناه يكبر في بطنك يوما بعد يوم.

زفرت نادين وقالت:

– حتى ابني الذي لم أره بعد يتعاطف مع أبيه.. ويتمرَّد عليَّ.

قالت أمل:

– كيف يتمرد عليك يا حبيبتي؟!!

– كنت أكلمه كل يوم وأستعجل وصوله سالما ليعيد البهجة لأيامي، كنت أحكي له قصة حياتي.. أعده بأنني لن أتخلى عنه أبدا أبدا مهما حدث.. وكنت آراه يبتسم لي بعينين جميلتين فيروزتين، وثَغرٍ صغير كحبة الكرز..

ثم تتنهد وتكمل:

– منذ أسبوع غاضب مني ولا يكلمني.

تتساءل أمل:

– كيف لا يكلمك يا نادين.. احكي؟!

– لا أحس له بحركة.. يبدو أنه يتحد مع والده ضدي.

– تنهض أمل فزعة:

– ماذا تقولين.. أسبوع لا يتحرك في بطنك وأنت ساكتة!! أنت ممرضة ولا تدركين خطورة ذلك.

أطرقت نادين برأسها وقالت في نفسها:

"لا أريد أن أصدِّق".

استكملت أمل كلامها:

– أنت في مستشفى ولا تهتمين بحملك.

قالت بفتور:

– طوال الأسبوع تعبانة ومخنوقة وأخشى أن.....

أسرعت أمل إلى غرفة الأطباء وهي تصيح:

– من فضلك يا دكتور منير اكشف على نادين.. تقول: إن الجنين لا يتحرك في بطنها منذ أسبوع.

نهض دكتور منير مسرعا وقال:

– الحقن بي على غرفة الكشف.

سبقته البنات بمصاحبة نادين يجرونها جرا.. صعدت فوق السرير بفتور ويأس.. خوف ورجاء.. تقدم الطبيب وهو يردد:

- خيرا.. خيرا.. لا تنزعجن.

حاول الطبيب الإصغاء لنبض الجنين فلم يأته.. رفع رأسه وهو يقول:

- لا صوت فعلا للنبض ولا للحركة.

تبادلت الفتيات النظرات بمئات التساؤلات.

استدعى الطبيب زميله دكتور فؤاد يسترشد برأيه فجاء على الفور.. وُضعَت نادين تحت الملاحظة والعناية الفائقة.. ثم أخذت حقنة منشطة لنبض الجنين.. ثم قياس النبض كل خمس دقائق ولا فائدة.. ثم عمل سونار على البطن للتأكد النهائي.. وبعد أن أتمَّت المستشفي كل المحاولات الممكنة لمعرفة الخبر اليقين، فنادين هي الممرضة المقربة من الأطباء جميعهم، والمحبوبة من الزميلات.. دينمو المستشفى ترقد بين يديهم قاطعة الرجاء.

ولما تأكد الجميع من نتيجة الكشف.. لم يبق إلا المواجهة.

**

# (ندوش)

## بداية أخرى

ندوش بالفعل طفلة، ولا تزال.. منذ طفولتها المبكرة وهي تصرخ.. وتصرخ حتى يبح صوتُها وينفطر قلبها.

تصرخ ندوش طفلة تحملها جدتها.. تمد يديها نحو أمها وتلقي بجسدها لكي تتخلص من يدي الجدة.. أمها تبكي وتخبط على ركبتيها وصدرها في النهاية تستدير تاركة إياها.. تأخذها الجدة لتتربى معها هي وجدها، وكان بالبيت عمها إلهامي تلميذا في الإعدادي.

هذه هي اللحظة التي تمنتها الجدة.. فكم تمنَّت الجدة أن يتزوج ابنها البكر وينجب بنتا من أجلها.. فكثيرا ما كانت تقول له:

– إذا تزوجت وأنجبت بنتا سآخذها منك..

يوافق ويقول:

– عشر بنات يا أمي ليس لي بركة غيرك.. وبالفعل كانت ندوش.

تركتها الجدة على مضض ووجل لأمها مدة الرضاعة مع متابعتها المستمرة؛ بل كانت تخشَّى أن تفطمها مبكِّرا؛ ولكن الأم تصرُّ أن تتم

الرضاعة، آملة أن يحدث شيء خلال هذه المدة، تموت الجدة مثلا.. ولكن الأيام كثيرا ما تخذل المحتمين بها.. فما أن فطمتها أمها حتى أتت الجدة؛ سقطت عليها كرخٍّ يخطف الكتاكيت، مدت مخالبها إلى الطفلة وخبأتها في حِضنها.. وقالت بفرحة كبيرة:

– ندوش من اليوم ابنتي أنا.

اعترضت الأم وصرخت وجذبت طفلتها، خاصمتها الجدة وصرخت في وجهها وجذبت الطفلة.. علا صوتهما.. كل منهما بكت وسبَّت الأخرى وقلبت الدنيا رأسا على عقب حتى جاء الأب وأبعد يد زوجته عن الطفلة.. وقال لها متوسلا:

– اتركيها الآن لنصيبها.. لقد وعدتها.

قالت الأم:

– تقول لها ندوش.

قال الأب:

– تناديها بما يحلو لها.. دعيها وشأنها.

صرخت الأم وتوعدت وهددت والأب يربت على كتفها، بينما تسللت الجدة حاملة الطفلة غير عابئة بصراخ الاثنتين.

ذهبت الجدة بغنيمتها، وظل الأب يقنع زوجته ويسترضيها أن تقبل بالأمر الواقع.

– فالبنت مع أمي في أمان.. سوف تتربى أفضل مما هي معنا.. نحن فقراء ولن نقدر على تربيتها وتعليمها كما يجب..ربما يكون حظها معها أفضل.. ثم يداعبها قائلا:

– غدا نملأ البيت بالأولاد فلا تحزني..

يغريه صمتها فيسترسل:

– ثم أين ستذهب؟! أليست في بيت أبي وأمي؟! نذهب لزيارتها في أي وقت تريدين.

تنمَّرت له وصاحت في وجهه بكل حنقها:

– تقصد في بيت زوج أمك.

ابتسم وقال:

– هو الذي رباني وصاحب فضل عليَّ، ومثل أبي وأكثر.

أخيرا تعبت الأم من البكاء والمقاومة فاستسلمت على مضض وألم.

أما الطفلة فلم تغفر مدى التخاذل الذي كان عليه والدها أمام والدته، ولم تغفر استكانة الأم، وكيف أنها رضخت واكتفت بصراخ ودموع..

فماذا تفعل غير أن تكرههما؟!

**

## (نادين)

# المواجهة

أصعب مواجهة تواجَه بها نادين.. ماتت من أجلها وحيت في نفسها أكثر من ألف مرة، وهي ترفض ما سيقال لها مسْبقا:

– الطفل مات في بطنك يا نادين.

قالها دكتور فؤاد وهو حزين:

قالت:

– مات في بيته.

– لعله الخير يا ابنتي.

قالها دكتور منير الذي يعرف الكثير من أحوال نادين ويتعاطف معها ويساعدها بما يستطيع..

استقبلت نادين الخبر بكل هدوء ولا مبالاة غير متوقعين، وكأنها كانت تتوقعه، أو منوَّمة، أو تعرفه بحكم خبرتها في التمريض.. وقالت:

– اغتالوه بداخلي.

سألها دكتور منير:

– أكنت تعرفين يا ابنتي؟!

– لا يا دكتور.. ولكنها إرادة الله ولابد أن أتقبلها.

– أحسنت يا ابنتي.. ألهمك الله الصواب..

– الله يلهم الصواب للمنكسرين.

– ولماذا لم تسارعي بالكشف منذ سكن في بطنك؟!!

– كنت أؤجل موتي.

صمت الجميع مأخوذين بقسوة العبارة.

قطع دكتور منير الصمت وقال:

– لابد من إجراء عملية قيصرية سريعة لإخراج الجنين.. أو يتسمم جسمك يا نادين وتموتين معه.

– دعني أموت يا دكتور.

– لماذا يا ابنتي.. لازلت في أول العمر؟!!

– ليس معي ثمن العملية، وليس لي رغبة في الحياة كلها.

– كيف تقولين هذا ونحن كلنا نحبك؟!

نظر إلى الفتيات الدامعات حولها وأكمل:

– ألا نستحق جميعا أن تعيشي من أجلنا؟!!

قالت:

– أعرف أنكم جميعا تحملون همي، لولاي لكنتم في حال أسعد.

اقتربت أمل من رأسها واحتضنتها:

– بالعكس يا ندوده يا حبيبتي؛ بل أنت حبيبة الكل.. كلنا لا ننسى وقوفك بجانبنا في أزماتنا.

توجهت نادين للطبيب وقالت:

– ممكن يا دكتور.. تقسيط المبلغ وخصمه من راتبي.

قال الطبيب:

– أعطني تليفون زوجك.. يجب أن يتحمل مسؤوليته، لابد أن يأتي ويتكفل بمصروفات العملية أولا، ثم يقوم بتسمية ابنه قبل استخراج شهادة وفاة له ودفنه.

تجهزت حجرة العمليات في الحال على مسؤولية الطبيب المعالج دكتور منير لحين حضور الأب.. نظر في عيني نادين وهم يسحبونها فوق الترولي، والممرضات جميعهن يركضن خلفها وقال:

– اطمئني يا نادين لقد اتصلت بزوجك وقال: إنه سيأتي حالا.

تفرَّست في وجهه لتستكشف الحقيقة وتعرف ما يخفي..

هزَّ رأسه مصدِّقا على قوله، فهو بالفعل سيأتي سريعا؛ ولكنه أخفى عنها استشعاره من استقباله للخبر بمدى سعادته، وكأن الطبيب قد رمى له بطوق النجاة.

جلست أمل بجانب نادين ممسكة بيدها تربت عليها، بينما طبيب التخدير يحضر حقنة البنج.. أرادت أمل أن تمازحها فقالت لها:

– على فكرة اسم أمل يصلح للذكر والأنثى.. وأنا أضحِّي باسمي لأجل خاطرك.

ردت نادين:

– يسلم الاسم وصاحبته، وأي أمل في ذلك العذاب يا أمل؟!

جاء طبيب التخدير وأعطاها الحقنة.

قبل أن تغيب نادين عن الوعي داعبتها أمل قائلة:

أتسمِّين ابنك أم يسمِّيه والده؟

فكانت آخر كلمة قالتها هي:

– جمال.

**

## (ندوش)

# الجدة

لم تعرف الطفلة سبب رضوخ والدها لرغبة أمه.. فأمه بعد أن أنجبته طلِّقت من أبيه، وعاشت معه سنوات تربّيه وحدها.. حتى جاء رجل طيب ميسور الحال إلى حدٍّ ما، وتزوجها بعد أن تعهد لها ولأهلها أنه سيحتضن ابنها وكأنه ابنه تماما، ولن يفرق بينه وبين ما سوف يولد له من أبناء في المستقبل.

ولدت الأم لزوجها الجديد بنتا وبعد عام ماتت، ثم أنجبت بنتا ثانية وبعد عام أيضا ماتت.

قرر الأطباء أن هناك خللا في الجينة الوراثية، وهذا الخطأ الوراثيُّ يؤدِّي إلى تكسير كُريَّات الدم الحمراء لدى الأطفال بشكل منتظم طوال السنة الأولى؛ مما يسبِّب نوعًا من الخمول للطفل الذي يحمل فيروس نقص المناعة البشرية.

ورغم أن الأبوين ليسا من الأقارب، فإنه يوجد هذا المرض بينهما، وهو ينشط في حالة ما إذا كان المولود لهما أنثى.. وعليه سيؤدِّي إلى موت أي أنثى ينجبانها..

لكن الأم لم تقتنع، فكررت الحمل وأنجبت بنتا ثالثة ومثل أختيها ماتت بعد عام.

كان حزنها شديدا على موت بناتها، وكثيرا ما كانت تردد:

"البنت حبيبة أمها وليس لي حبيبة، وسر أمها وليس لي ونيس.. البنت هي الحنية والمحبة."

لم تأخذ الأم راحة بين الحمل والحمل حتى تنجب بنتا، فجاء ابنها إلهامي الذي نال كل تدليل وعناية لأنه آخر العنقود، والذي بعده استأصلوا من الأم الرحم فعاشت حزينة منكسرة لعدم وجود البنت في حياتها، فالبنت تمرِّض أمها في مرضها، وتساندها في شيخوختها، وتبكي عليها عند موتها.

كبرت ندوش مدلَّلة في حِضن الجدة، مرفَّهة بسخاء الجد، منعمة برعاية العم وتعاليمه... كبرت وألفت وجودها بين هذه الأسرة التي تحبها، وتعوَّدت على أسلوبها، ونسيت تلك المرأة أمها، وذلك الرجل أباها، فإذا جاءا لزيارتها استقبلتهما كضيفين ساعة ويمشيان..

فمنذ أن أغلق الباب على ثلاثتهم؛ الجد والجدة والعم، وهي رابعتهم.. والجدة تقوم ببعض الأعمال المنزلية على قدر استطاعتها ولكنها يوما بعد يوم تُكسِب الطفلة مهارة جديدة ومَهمَّة تقوم بها، والبنت تستوعب على أحسن ما يكون، بل يفاجئون بالتجويد والإضافة..

استمتعت الجدة بجميع مراحل نمو ندوش؛ ابنة الثلاث سنوات عندما كانت الجدة تقطب جبينها، كانت تمد يدها بأصابعها الرقيقة لتزيل تقطيب الجبين، من أين أتتك هذه الحكمة ياصغيرة..!! كانت الطفلة تقلدها في جميع حركاتها، حتى إذا كحَّت كانت ندوش تقلِّد كحَّتها، وإن ضحكت تضحك، وإذا وقفت للصلاة كانت تقف في مواجهتها لتفعل مثلها، فتعدل لها الجدة وقفتها وتقول لها:

"لابد جميعنا نقف باتجاه القِبلة..."

وقفت ندوش بجوار جدتها تصلي من سن الخمس سنوات مقلدة حركاتها حتى استطاعت أن تستقل بنفسها في الصلاة.

ابنة الخمس سنوات تنام في حِضن الجدة وتقول لها:

"ضمِّيني وانسي الدنيا" تضحك الجدة وتضمُّها بقوة.

كانت تأتي بواجب المدرسة فتريه لجدتها قبل أن يراه عمها المسؤول عن مذاكرتها..

تقول لها الجدة:

– أحسنت.. ابنتي الجميلة الذكية تأتي بالدرجات النهائية.

ظلت على اجتهادها حتى أتمت المرحلة الابتدائية بتفوق.. الأولى على المدرسة.. أقاموا لها حفلة حضرتها زميلاتها المقرَّبات اللائي أغلبهن من سكان العمارة، وأهمهن ولاء وأمها؛ فهما الأقرب من الجدة ومن البنت..

وحين تأقلمت ندوش وارتاح بالها مع حياتها وألفتها، يفاجئها هادم اللذات.

تصرخ ندوش حتى يبح صوتها وينفطر قلبها، طفلة في نهاية المرحلة الابتدائية، على موت جدتها.. وترى في أمها التي كانت ضمن المعزِّين واحدة منهن لا أكثر ستؤدي واجب العزاء وتمشي لحال سبيلها تاركة إياها..

**

# (ندوش)

## الجد

يغلق الباب من جديد على ندوش وجد عجوز وعم شاب في السنة الأخيرة في كلية الهندسة.. فاجتهاده هو الذي أوصله لتلك الكلية عكس والدها الذي لم يكمل تعليمه، فكان من نصيبة وظيفة متواضعة راتبها لا يسمن ولا يغني من جوع.

طلبات كثيرة للرجلين وهي الأنثى الوحيدة التي بالبيت.. والحقيقة يعتمد عليها.

صحيح أنهما يأتيان لها بمن تنظف البيت ومن تقوم بطهي الطعام؛ لكنها كانت تشرف عليهما كما تعلمت من جدتها.

فبين الإشراف على تنظيف البيت وإعداد الطعام ومذاكرتها، أوامر لا تنتهي تتقبلها بهدوء كما كانت تنفذها بهدوء أيضا.. إحضار كوب الماء أقلها.. أما ما كان يرهقها بالفعل فهو التدليك المستمر لساقي الجد الذي تخونه ركبتاه وهو يمشي.. ولكنه يوميا لابد أن ينزل إلى الشارع يمشِّي رجليه كما قال له الطبيب، وندوش هي عكازه.. يمشي

قليلا ويقف كثيرا ولكنها سعيدة بحكاياته عن جدتها، فهي سَلْوته في أيامه الباقية.. ودوام الحال من المحال.. وما أسرع الأيام مفاجآتها!

تعود وتصرخ ندوش حتى يبح صوتها وينفطر قلبها، طفلة في نهاية المرحلة الإعدادية، على موت جدها.. تشاهد والدها وهو يتشارك مع عمها في إجراءات الدفن واستقبال المعزِّين.. لكنه في آخر اليوم يذهب إلى حياته التي يعرفها..

كانت تتوقع أن يسألها إذا كانت تريد أن تأتي معه أم تظل مع عمها.. ولو كان فعل لكانت اختارت من تعرفه.. ولها معه ذكريات السنين.. ولكن للحقيقة أنه دار حوار طويل بين الأب والعم لا تدري ندوش حول ماذا حتى اقتنع الأب في نهاية الأمر وهز رأسه موافقا.

كان العم يحبها ويحسن معاملتها، يدللها متمسكا بها؛ فهي ونسه في تلك الوحدة المميتة.. يقول لها:

– أنا الذي ربَّيتك ولا يمكن أن أتركك لأبيك وأمك، هؤلاء الجهلة لا يعرفون قيمتك.

العم الآن رجلا مسؤولا يمضي في عمله طوال اليوم.. وهي وحدها بين جدرانها أغلب الساعات..

لكنه يترك لها مساحة كبيرة من حرية الحركة والتنقل بين شقق العمارة التي تعودت عليها، والتي بها بنات في سنها، وربما معها في المدرسة وفي الصف الدراسي نفسه.. شكرا يا عمي هذه منَّة كبيرة منك.

والأمهات يرحِّبن بندوش صديقةً لبناتهن ويشجِّعن بناتِهن على صداقتها؛ فهي مهذبة ولا تعاب سلوكياتها، كما أنها بنوتة ذكية ومتفوقة في المدرسة وباستطاعتها مساعدة زميلاتها في أي شيء يستغلق عليهن في المنهج.. حتى إن ولاء صديقتها المقربة صرحت لوالدتها ذات مرة قائلة:

"أنا أفهم من ندوش أحسن من مدرس الفصل.

**

## (نادين)

# أين جمال

غابت نادين عن الوعي ولكنها كانت تشعر بالأيدي التي تقطِّع في جسدها، ارتفعت روحها فوق الأيدي.. ضاعت ملامح الأطباء والممرضات، استبدلت وجوه زبانية العذاب الخمسة عشر بوجوه ملائكة الرحمة اللاتي يحطن بها..

لكنها لا تستطيع أن تصرخ كما كان لا يستطيع أن يصرخ وهو راقد بين أيديهم بلا حراك لا حول له ولا قوة؛ ولكن روحه من فوقهم ترى وربما تسمع ما يفعل بجسدها.

تخيَّلت نفسها الجسد الذي قطع في السفارة بلا رحمة.. لكن جسدها قاومهم، قاوم وقاوم ولفظ شيئا..

لفظ طفلا معدوم الحركة رغم اكتمال تسويته..

وضعه الطبيب جانبا واهتم بالجسد الذي أنتجه.. حتى انتهى من ترميمه...

فور أن أنهى دكتور منير خياطة الجرح لنادين خياطة تجميلية، وتركها لتستعيد وعيها حتى سأل أمل:

– لماذا أسمت ابنها جمال.. وقد كانت تُعِدُّ له اسمًا آخَرَ؟!

– سنعرف يا دكتور بعدما تفيق.

كان حزن أمل على صديقتها يمنعها من الاسترسال في الكلام فاكتفت بما قالت:

انتقلت نادين إلى غرفتها وأمل في إثرها، وبينما هي بين اليقظة والمنام، بين الحلم وقليل من الوعي، بطرف خفي رأت وجه زوجها العابث.. أرادت أن تبتسم ولكن غلبها الحزن على ما فقدت.. فغضَّت الطرف ولكنها سمعته يقول لصديقتها أمل:

– لا مانع نسمِّيه جمال حسب رغبتها..

مدَّ يده تحت وسادتها يضع شيئا وخرج من الغرفة لا يلتفت..

رفعت أمل طرف الوسادة بعد خروجه.. فرأت مِائتَيْ جنيه.. أعادت النقود مكانها وامتعضت وهي تقول في نفسها:

"أهذا كل ما قدرت عليه!!.. أم هذا هو ثمنها عندك"

وبدأت أمل في إفاقة صاحبتها وهي تدلِّلها:

– حبيبي ندنود.. اصحي يا نوده اصحي أيتها الممرضة المثالية..

حركت نادين رأسها ونادت بصوت ضعيف وممطوط:

– جمال.. أين جمال؟ أريد رؤية ابني.

قالت أمل:

– أخذه والده ليدفنه.

– أين سيدفنه؟!!

– لم يقل.. لكنه دفع مصاريف العملية، ومصاريف تجهيز الطفل.. ودعا لك بالشفاء، وسماه جمال حسب رغبتك.. و...

– وترك لي صدقة.

– ماذا تقولين؟! كان قلقا عليك، وحزينا على فقد ابنه؛ لكنه كان مهتمًّا ومشغولا بإجراءات الدفن.. وذهب ليدفنه وسيعود.

– يعود!!

– إن شاء الله سيعود.

استدارت نادين تبلع مرارتها وتمسح دمعها في وسادتها وتقول:

– لن يعود.. ولن أعرف قبر جمال.

**

## (ندوش)

# سيدة البيت

يأتي العم في آخر اليوم معه طعام العَشاء ليأكلا معا، ويسألها كيف كان يومك؟.. تحكي له ندوش وتسترسل في الحكي، وهو لا يمل السماع والتوجيه.. وكثيرا ما كان يحكي لها كيف كان يومه، لكنه لا يسترسل لأنه يشعر بالتعب، يذهب إلى سريره متهالكا ساحبا إياها في يده، تجلس على حافة السرير.. ينام على حجرها تدلِّك له رأسه كما علَّمها حتى ينام..

تضع رأسه برفق على الوسادة وتقوم لمذاكرتها.

أحيانا يقول لها:

– لقد ربيتك صغيرة كأنك ابنتي."

يضحك ويستكمل:

– الآن أنت تقومين بدور أمي.

تضحك وتقول له محذرة:

– اسمع الكلام يا ولد وإلا منعت عنك المصروف.

– حاضر يا ماما.

عندما وصلت ندوش للصف الثاني الثانوي وهي على تفوقها وتتوقع لنفسها ويتوقع لها العم والصديقات مستقبلاً مشرقًا.. حدث تغيير في وضع البيت وأولوياته.

تزوج العم.. فجأة وبلا مقدمات أصبح للبيت سيدة أخرى تديره.. أسرة رأت في الباشمهندس إلهامي، الميسور ماديا، والوحيد في الحياة بلا أب وأم، فرصة لا تعوض ومستقبل مشرِّف.

كم كانت تصطدم ربَّة البيت الجديدة عامدة متعمِّدة بندوش من آن لآخر.. ورغم أن البنت ما كانت تصر على رأيها؛ بل تتنحى لها وتتنازل لزوجة عمها معترفة لها بالسيادة، فهي لم تر نفسها أبدا صاحبة البيت على طول بقائها فيه:

– أعرف يا طنط أنك صاحبة البيت ومن حقك أن تبقي فيه وحدك.. لكن أنا كبرت هنا فماذا أفعل؟!

– ولكن لك أهل وهم أولى بك.

– أهل لا أعرفهم ولا يعرفونني فكيف نلتقي؟!.

لم تصل معها إلى تسوية مرضية ولا حتى هدنة مؤقتة حتى تتخرج وتملك أمرها.. ظلت زوجة العم غاضبة ومتزمرة طوال الوقت، معاندة للبنت على طول الخط..

إذا وضعت ندوش شيئا هنا نقلته زوجة عمها هناك، فتدعه البنت كما أرادت..

إذا طبخت شيئا تعودته، عابت الزوجة عليه وقللت من قيمته، فتعترف لها البنت بتفوقها في هذا الشيء بالفعل..

وفي كل شجار يقع بينهما تتوقع زوجة العم أن البنت سوف تشكو لعمها، فكانت تتنمر وتستعد للجدال واقتناص الفرصة للتعبير عن رغبتها وفرض رأيها.. لكن ندوش لم تشكُ..

فزادت من قسوتها عليها.. بدأت تحاسبها على النظافة والترتيب، كأنها الخادمة، واصفة إياها بالإهمال والفوضى، وأحيانا بالتباطؤ والتراخي.. وأحيانا بعدم الفهم، وإلا لأدركت أنها في مكان غير مرغوبة فيه فترحل.

كانت ندوش تمضي وقتا طويلا في شقة ولاء حتى تتجنب الصدام مع زوجة عمها، خاصة في عدم وجود العم.. وهذا أيضا لم يرضها.

وزاد الطين بِلَّةً أن العم ورغم أنه تزوج لم يستغن عن عاداته مع ندوش.. يدخل من باب الشقة ينادي:

– ندوش يا ندوش عمه حبيبه وصل.

تسرع إليه ندوش.. تساعده في تبديل ملابسه.. وخلع حذائه، ثم تجهز له الحمام..

يجلس الجميع حول مائدة الغداء، فلا ينسى العم أن يمد يده إلى فيها بملعقة الطعام، قائلا لها كما كان يقول وهي طفلة:

"هم يا جمل"...

ثم إذا أراد أن ينام فلابد أن ينام على ساقها وهي تدلك له فروة رأسه.

لم يعجب الزوجة هذا الحال فرأت أن تتخلص من الفتاة نهائيا.

ظلت تقاوم وتقاوم وتصر على إعادة البنت إلى أهلها.. حتى تحقق مرادها...

دون سابق إنذار أو إعداد نفسي لقبول الآخر ذهبت إليهم..

ذهبت ندوش إلى أناس لم تعرفهم، لم تحبَّهم، لم تلتمس لهم العذر يوما.. وجدت نفسها مضطرة لأن تتعامل مع رجل غريب وتقول له:

يا أبي، ومع امرأة فظَّة وتقول لها: يا أمي، وولد وبنت هما نتاج السنين تقول لهما: أخواي.

**

## (نادين)

# اعتراف

استعادت نادين عافيتها بفضل الله الذي ألهمها الصبر والاستسلام لقدرها، ثم بسبب التفاف صديقاتها اللائي قسَّمن على أنفسهن عبء تغذيتها، فلكل واحدة يوم تطبخ لها الدجاج والأرز والشوربة التي تحبها مع الاهتمام بالخضراوات والفاكهة..

تبعد نادين مشروب الحلبة بالعسل الأسود قائلة:

– الوالدة تشربه ليُدِرَّ لها اللبن للمولود، فلماذا أشربه أنا؟!

تضحك أنعام وهي تقربه من فمها وتقول:

– وله فوائد أخرى.. يساعد في إرجاع الرحم إلى حجمه الطبيعي، ويفيد صحتك؛ يغذيك ويقوّيك ويُبعد عنك العين والحسد..

لم تجد نادين في نفسها القدرة على الابتسام على نكتة أنعام.. فتقبل على المشروب وهي صامتة.

هذا فضلا عن تعاون الزميلات بمشاركة الأطباء لملء بيتها بما تحتاجه في مثل ظروفها من زبد وعسل ولبن، وطيور ولحوم ومعلَّبات وغيره.

والـتي عليهـا الطـبخ عليهـا أيضـا ملازمتهـا طـوال اليـوم، والمستشـفى تمنحهـا اليـوم إجـازة.. المهـم الإحاطـة الكاملـة بنـادين وعـدم تركهـا لنفسها تجترُّ أحزانها وتبكي وَحدتها.. بل كان دكتور منير يخشى من أن تؤذي نفسها.

وخلال هذا الوقت كانت أمل الأكثر حزنا عليها.. والأكثر متابعة وملازمة حتى مع وجود الزميلة الأخرى؛ فكانت تواسيها وتدعوها للتسلي بالقراءة التي تحبها، وبتلاوة القرآن الذي يحفظها، وعليها ألا تكتفي بترتيله؛ بل أن تحاول شغل نفسها بحفظه؛ فالحفظ لن يدع لها وقتا للحزن أو للسباحة في الفراغ بخيالاتها الجامحة وراء الآلام.

ابتسمت نادين نصف ابتسامة وقالت:

- سأحاول.. يا ليت.

قالت أمل:

- دكتور منير سألني.. لماذا سمَّيت ابنك جمال؟

تجاهلت نادين السؤال وقالت:

- أمل أريد أن أعترف لك بشيء.

- تفضلي حبيبتي..

- وتصدقينني؟!

– أصدقك بالطبع.. أنت لا تكذبين.

– أتصدقين أنني الآن أشعر بالراحة وهدوء الأعصاب عن ذي قبل.

تدهش أمل وتسأل:

– كيف.. هل عندك تفسير لهذه الحالة؟!!

– نعم.. منذ أن خرجت من بيته مطرودة وأنا أشعر باختناق شديد وتنتابني الهواجس والأوهام، فكنت أتخيل أنه لن يتركني أتمُّ حملي إلى نهايته وآتي له بطفل يربطه بي طوال العمر.. كنت أتخيل أنه سيرسل لي نسوة يضربنني حتى يجهضنني.. وأحيانا كنت أسمع ابنة عمه تقول له، أو أتخيل أنها تقول له:

– إما أنا وإما ابنك..

– ولكنك يا نادين كنت تأتين الشغل بهمة ونشاط، وتؤدين عملك على أحسن ما يكون.. حتى إنك كنت لا تودِّين الذهاب إلى البيت من حبك للعمل.

– نعم.. طالما أنا بالمستشفى كنت أشعر بالحماية.. أنسيت أنني كنت أقطع إجازاتي وأرجع للشغل.. وجودي بينكم هو الأمان.. لكني بمجرد أن أدخل البيت يضيق صدري، ويصيبني القلق وهاجس يقول: إنهم يختبئون هنا أو هناك، فأظل أبحث وأفتش تحت السرير

وداخل الدولاب، وخلف الأبواب.. ورغم أنني لا أجد ما توهمته إلا أنني أظل مختنقة ومقبوض صدري حتى يطلع النهار فأسرع إلى المستشفى.

هزت أمل رأسها مؤمِّنة على كلامها:

– فعلا أنت تأتين قبل موعدك وتمشين بعد موعدك.. ولا تستمتعين بإجازاتك.. وكنت أقول لك:

"أنت تجهدين نفسك ويجب أن ترتاحي، فلا تهتمين لكلامي، فأقول لنفسي: لأنها تعيش وحدها، فهي تضيع الوقت بيننا.. لكنك لم تفصحي عن وجيعتك يا نادين.

– أنا الآن أسعد حالا.. فلو كنت ولدته لظللت أتخيل أن هناك من سيأتي ويأخذه مني أو أظل أتساءل: "من سيقتله؟!!

سرحت نادين لبعيد.. وغابت عينها في الفراغ.. ثم عادت عيناها جاحظة تحدِّق في أمل وتقول:

– لكنهم كانوا أذكياء.. أذكياء لدرجة بعيدة جدا.. خططوا وقتلوه داخل بطني حتى تقيَّد الجريمة ضد مجهول.

أخذتها أمل في حضنها حتى لا تسترسل في الأوهام.

- كفى يا حبيبتي.. كفى يا نادين.

**

## (ندوش)

# الأم

لم يكن النفور من ندوش فقط؛ ولكن من تلك الأم الكارهة لعيشتها الناقمة على ظروفها.. كانت تأمل في مستوى معيشة أفضل ولكن سوء حظها أوقعها في ذلك الرجل متوسط التعليم، متوسط المركز، متوسط الحال.. متوسط الفَهم، والغريب كلما ذكَّرته بذلك يقول مبتسما بعد أن يقبِّل يده ظهرًا لبطن:

"الحمد لله، خير الأمور الوسط"

تغيظها سلبيَّته وعدم طموحه..استسلامه لقلة حيلته.

هذا الرجل الذي فجعها في أول فرحتها.. الذي أخذ ضناها وأعطاها لأمه رغم دموعها وتوسلها...

فضَّل رغبة أمه وسعادتها على فجيعتي وحرماني من ابنتي... ثم بعد تلك السنين تعود إليَّ!!

ماذا أفعل بها؟.. كيف أفهمها وتفهمني؟.. ولم يُبنَ بيني وبينها جسر من الحب.. أين العلاقة التي تنشأ بين البنت وأمها بطول السنين،

فتفهم نظرتي وأفهم صمتها؟! تشعر بوجيعتي وأحضن حيرتها، انقطع بيننا الحبل السُّرِيُّ منذ أن أخذتها جدتها.. ثم كيف أعيِّشها في المستوى الذي تربَّت فيه؟!

زفرت نار جوفها وهي تقول لنفسها:

كانت إذا زارتنا في المرات القليلة التي جاءت فيها بصحبة جدتها تأنف من عيشتنا من بيتنا بفرشه المتواضع وبرودته المزمنة...

كنا إذا تقابلنا في فرح للعائلة أو أي مناسبة، كنت أراها أطول قامة وأشمخ رأسا.. هي في برجها العالي ونحن عبيد إحسانها...

كانت تتصدق بملابسها لا أقول القديمة بل التي صغرت عليها لأختها فنفرح بها ونأخذها منها بسعادة وامتنان.

صحيح هي كانت تعطف على أختها وتحبها وكانت تقدِّم لها فستانها بكل رقَّة وذوق، وتقول لها:

– لقد صار قصيرا أو ضيقا لأنني أكبر منك، عليك تحفة أجمل مما كان عليَّ...

وصحيح أن أختها ما كانت تأنف من حاجياتها بل تحبها وتتمسك بها؛ ولكن كيف الآن نتعامل معها ونحن في مستوانا الأدنى، أشعر أنها غريب سينكشف على عوراتنا...

كل هذا باتت الأم يقظة من أجله، تفكر فيه وتسأل نفسها: "هل سنتبادل الحب أنا وهي أم الكراهية، أم ستكون العلاقة بيننا فاترة مملَّة، أم سخطا وصراعا دائمين؟!!

تحاول الأم أن تنسى موقفا قديما جدا فتضغط على أعصابها من ألمه؛ ففي مشاجرة كبيرة بينها وبين الجدة أخذت ندوش جانب جدتها فكانت ملتصقة بها، تدفع أمها بعيدا عنها وتقول لها:

"امشي من هنا لا تصرخي في جدتي..."

والجدة تضمها بقوة وتقول لها:

– أثمرت فيك التربية يا نور عيني.

ليس هذا فحسب؛ بل إن الأم التي لم تأخذ ابنتها يوما في حِضنها ولم تتكون بينهما عاطفة تجبرهما على التعاطف معا.. كان داخلها يغلي ويتساءل:

– هل ستحبني تلك البنت؟! وهل علي أن أجتهد لأجعلها تحبني؟!! وإذا كان ولابد فممن يجب أن تكون المبادرة؟!!

**

## (نادين)

# الأب

أمل أكثر الصديقات قربا من نادين، والمطلعة على الكثير من أحداث حياتها.. جاءتها في غير موعدها لتخبرها بالخبر الصادم.

– حبيبتي نودة.. اتصل بي والدك وأخبرني أنه حزين ويأخذ على خاطره منك؛ لأنك لم تخبرية بما حدث لك، يقول أنه كان يجب عليه أن يكون بجانبك في مثل تلك الظروف، وأنت تعرفين كم هو يحبك.

أطرقت نادين ولم تدر ما تقول؟.. فقالت أمل:

– ولكني أخبرته أنه لا ذنب لك لأنك كنت في حالٍ صعب وكان يجب علي أنا إخباره؛ ولكني نسيت لانشغالي بك.

هزت نادين رأسها بالموافقة وقالت:

– وكيف عرف بما حدث لي؟ ألست أنت؟!

– لا والله.. عرف من زوجك.. اتصل به ليخبره بأنه ينوي... ينوي أن...

– أن يطلِّقني، أليس كذلك؟!!

تزفر بقوة:

– نعم.. وكل ما تطلبينه مجاب.

– أكثر الله خيره.. وبالطبع سيتزوج ابنة عمه التي يحبها، وفسخت خطوبتها من أجله.

– ما لنا به الآن.. يتزوج بمن يتزوج، المهم أن تخلصي منه أنت.

سرحت بعينيها وجزت على أسنانها.. بينما أكملت أمل:

ماذا تريدين من رجل مؤذٍ، لم يعاملك بالحسنى؟!

أشاحت برأسها أكملت أمل:

– فليذهب إلى حال سبيله يا نادين ونلتفت نحن لصحتنا.

قالت نادين متجاهلة كلامها:

– وماذا قال له أبي؟!

نهضت أمل وفتحت باب الغرفة وهي تقول:

– تفضل يا عمي..

ثم التفتت إليها قائلة:

– يخبرك بنفسه.. وأنا إلى المطبخ؛ سأصنع لكما مشروبا دافئا.

**

دخل الأب بطيئا.. كما قامت نادين إليه بطيئة وتعانقا بيأس ومرارة، ثم ربَّت الأب على ظهرها وأجلسها وجلس إلى جوارها صامتين ولا تزال يده حول كتفها.. مسح دمعة عينه وقال بصوت ضعيف ومخنوق:

– كل إنسان يأخذ نصيبه يا ابنتي في هذه الحياة.

هزت رأسها بالإيجاب..أكمل الأب:

– ربنا يعوضك خيرا عما فقدت وتفقدين يا حبيبتي.

– الحمد لله يا بابا.

– سيأتي هو والحاج حسين إمام المسجد، ومعهما المأذون..

هزت رأسها بالإيجاب.. قال:

– ألك طلبات عنده؟!

– إذا تكرم وقال لي أين دفن ابني جمال؟!

– سألته يا ابنتي؛ قال: "إنه أيضا لا يعرف مكانه."

– كيف لا يعرف مكانه؟!!

– أعطاه لرجل صالح قال له: "ادفنه ولا تعرفني مكانه."

– أيعقل هذا الكلام يا أبي؟!

– لا داعي يا ابنتي لاستعادة الأحزان.

بكت وقالت:

– لا داعي أن أعرف أين دفن ابني!!

– نعم، في مثل هذه الظروف لا داعي..

ضحكت في سخرية وتهكُّم:

– ربما أعطاه لمتعامل تركي.!!

– ماذا قلتِ؟!

– هل صدَّقت روايته يا أبي؟!

– صدَّق على كلامه الحاج حسين، يقول: "إن الكلام كان أمامه.." ونحن نثق في الحاج حسين أليس كذلك.

هزت رأسها في أسى:

–كل الناس من حولي حكماء، طيِّبون، يدعونني للتعقل والحكمة وربط الجأش، ولا أحد يشعر بالنار التي في قلبي، كلهم يتفقون عليَّ.. كلهم يتعاونون ضدي.

– لا يا ابنتي.. كلنا نريد أن ننسيك هذه المرحلة من حياتك وابدئي من جديد.

– كيف لغصن قطع من شجرته في الخريف، أن يورق في الربيع من جديد يا أبي؟!

**

انهمرت دموعها حتى أجهشت بالبكاء، أسرعت إليها أمل.. إنهار أبوها بجانبها، وحارت أمل ماذا تفعل؟ وكيف تتصرف؟ فانخرطت في بكاء طويل مثلهما..

ثم هدأ الجميع، واستغفروا الله.. وبعد وقت قام الأب وقال لابنته:

– أنتظرك يوم الجمعة حتى نسدل الستار على تلك المسرحية الهزلية، التي كانت شؤما من بدايتها وننسى قصتها.

هزت نادين رأسها بالنفي وقالت:

– لم تكن شؤما من بدايتها.. لكني لا أعرف الغراب الذي نعق فوقها ومن أين جاء.

احتضنها الأب ورفع رأسه للسماء وقال:

– يا رب صبرها واربط على قلبها.

وقبل أن يغيب خلف باب الغرفة قالت:

– هل ستأتي أمي؟!!

التفت وقال:

– ربما!!.. حقيقة لا أدري.

**

## (ندوش)

# الحال غير الحال

جاءت البنت بحقيبتها.. وقفت الأم تحدق فيها، تتأملها لأول مرة.. ولم تدر كيف تتصرف، حتى جاءت ابنتها الأخرى شيرين وقالت:

– ماما خذي ندوش في حضنك.. من الآن لن نفترق أبدا..

ثم دفعت ندوش نحو أمها فتعانقتا.

رحبت شيرين كثيرا بأختها وقالت لها:

– سريري يكفينا معا.

أما سامي فقال لها متقمصا التعالي والسمو:

– ستكتشفين وحدك أن لديك أفضل أخ في الكون.

صمتت الأم تتأمل احتفاء الأخوين بأختهما.. لكنها كانت تنظر إليها من ناحية أخرى.. فماذا رأت فيها؟!

رأت فيها فمًا إضافيًّا وعبئًا بغيضًا، فهي في المرحلة الثانوية وتحتاج مصاريف لم تتوفر لديهم..

أما موقف الأب فكان حياديًّا عقلانيًّا أو لنقل: سلبيًّا كما تصفه الأم دائما.. هدَّأ من جزع الأم وثورتها الباطنة والظاهرة قائلا:

– لقد وعدني أخي بأن يساعدنا شهريا حتى تكمل تعليمها وتجد وظيفة فلا تقلقي...

هي بالفعل جاءت ومعها مبلغ من المال، أخذته الأم ووزعته بالتساوي على البيت والأولاد الثلاثة، أم تراها ستصرفه علي البنت وحدها وهم ينظرون؟!!

في كل الأحوال صار الحال غير الحال في بيت وقلب الأم.. كما صار الحال غير الحال على مشاعر البنت...

تُرجم هذا الضيق إلى شجار شبه يومي بين ندوش وأمها يتخلَّله ألفاظ جارحة كثيرة من الأم حتى أنها قالت لها غير مرة بصوتها العالي:

– أنت عالة علينا.. اذهبي إلى حال سبيلك أنا لا أريدك.. أنا لا أعرفك.. لقد أَمَتِّ جدَّك وجدتك وجئت لإماتتي!!

تضحك ندوش في سرها، ولما تسمع أمها تقول:

"لقد بدلت حياتنا" تقول في نفسها:

"هل كانت لكم حياة قبلي؟!

ومرة قالت لها: لو كنتُ مكانك لقتلت نفسي.

كل هذه الثورة لم تر لها ندوش أي داعٍ.. خاصة أنها لا تحاول الاحتكاك بها قدر ما تستطيع.

أما الأخوان سامي وشيرين، فكانا تبعا لحالة الأم؛ إذا هدأت قليلا من ناحيتها تتحسن معاملتهما ويتوددان لها..

وإذا ثارت وانفعلت عليها زادا الطين بِلَّة.

**

# (ندوش)

## شيرين

كانت شيرين تقف عاجزة أمام ما يحدث بين نادين وأمها فلم تر له أي مبرر، وفي الوقت نفسه لم تتعود على مجادلة أمها وإلا نالها غضبها الذي ليس له حدود؛ لكنها كانت تنفرد بأختها وتواسيها وتقول لها:

– اعذِريها؛ هي لم تتعود عليك، ثم إنها كانت تكره جدتك جدا جدا فهي تتخيل أنها تنتقم منها فيك...

ثم تحاول أن تضحكها فتقول لها:

– أتذكرين يا ندوش ملابسك ولعبك التي كنت تعطيني إياها.. كنت أحبها جدا وأحافظ عليها لأنها منك.. وحتى ملابسك التي صغرت عليَّ ما فرطت فيها حتى الآن.. أترين هذه الحقيبة السمراء التي فوق الدولاب، بها كل أشيائك..

تبتسم ندوش بأسى وتقول:

– وبماذا تنفعنا الآن، أنا وأنت كبرنا عليها، تصدَّقي بها؟!

ترد عليها وهي تحتضنها.. لا تهون عليَّ.. أنا فعلا أحبها فاتركيها.

شيرين تصغر عن ندوش بأربع سنوات؛ لكنها ذات عقل ناضج وحس مرهف.. وهذا ما يجعلها تتجنب إغضاب أمها في كثير من الأحيان لأنها تعرف قدر غضبها ومدى ثورتها.. فهي حين تثور لا تدري ماذا تقول؟ ثم إنها لا تراجع نفسها ولم تعتذر عن قول جارح أطلقته في وجه أي أحد.. وإلا لكانت اعتذرت عن جملة:

"لو كنت مكانك لقتلت نفسي" التي قالتها لندوش.. ولم تحسب حساب عواقبها.. مما اضطر شيرين أن تكذب على أختها وتقول لها:

– لا تزعلي يا ندوش فهذه العبارة من مفرداتها.. هي عادية في لسانها لا تقصد معناها وأنها مرة قالتها لي.

ربتت ندوش على كتف أختها وقالت:

– يكفيني أن لي أختا طيبة ورقيقة مثلك.

مالت عليها شيرين وهمست في أذنها:

– طالعة لأختي..

هذا الجو الرائق الرومانسي بين الأختين تكهرب من صوت الأم وهي تصرخ:

– شيرين، ماذا تفعلين عندك؟!

فأسرعت شيرين مهرولة وهي تشير لندوش بما معناه:"ربنا يستر"

أصاب ندوش بسبب الضغط النفسي، والشجار شبه اليومي وجع بجسمها وصداع مزمن احتاجت للكشف الطبي لمعرفة العلاج، ضاقت الأم بأجر الطبيب وثمن الدواء وقالت:

"وهذا أيضا عبء لم أعمل له حسابا".

عرف العم بهذا الأمر فجاء على الفور ليضع النقاط على الحروف..

اضطُرَّ لأن يعطي الأم مصروفا للبيت نظير أكل ندوش وإقامتها على أن تقبل ندوش كل ما يقدَّم لها دون اعتراض أو طلب، وأعطى لندوش مصروف يدها لاحتياجاتها الخاصة، فلا تطلب من الأم علاجا ولا درسا ولا ثوبا ولا.. ولا عكس ما يحدث مع أخويها.

**

## (نادين)

# من أنت

ثلاثة أيام على يوم الجمعة.. أمضتها نادين أمام التليفزيون.. تتابع قضية جمال خاشقجي.. وتربط بينها وبين ابنها الذي أسمته على اسمه لإحساسها من بعيد أو قريب بوجه شبه.

"قالوا: خرج من الباب الآخر...

"لا إنه يشبهه يلبس ملابسه وكَشَفه الحذاء...

"أخيرا وبعد تلاعب وإنكار ومراوغة، يعترفون بمقتل الرجل وسيحاسب الجناة...

"دائما للأعمال القذرة جناة ظاهرون هم كبش فداء، وآخرون غائبون يفلتون بجرائمهم، ولهم من يبيضون لهم الوجوه..

"التخطيط كان على أن تكون تركيا الضحية في هذا الحادث؛ ولكنها بفضل الله أمسكت بزمام الأمور..

"يسألون أين الجثة؟

"أعطيناها لمتعامل...

"لا.. بل قطعت على أنغام الموسيقى.. وذابت في الأسيد.

كانت تريد أن تصرخ؛ فوضعت كفيها فوق أذنيها وظلت تصرخ وتصرخ وهي تصيح:

– أين جثة ابني؟.. أين قبره؟.. من الرجل الذي أخذه؟.. دفنه أم أذابه في الأسيد؟!!

– يا له من قهر الرجال.. قهرني وأغاظني.. فاجأني بغدره... لماذا فعل بي كل هذا العذاب؟! لم أقصِّر في حقِّه، ولم أعصه في شيء، ولم أعانده.. فلماذا.. لماذا.. قولي لماذا؟!

توجهت بسؤالها للمرآة.. تنظر إلى المرآة تخاطب صورتها بداخلها..

"كان يأتي بابنة عمه يداعبها أمامي.. أتشهدين!!

تقول لها التي في المرآة:

"كانت أمامه قبلك لماذا لم يتزوجها..."

ترد عليها:

"كانت مخطوبة.. وبعدما تزوجني ندمت وفسخت خطوبتها.

ترد عليها:

"ربما لذلك حكمة لا يعلمها إلا الله..

"لكنه قهرني، أهانني، لم يعبأ بمشاعري ورغبتي في استمرار بيتي وحياتي.. لم تحركه دموعي، وحدتي، طفله البريء في بطني.. بل كان يتشفى بحزني وألمي.

"لا داعي للأسف عليه إذن.

تسأل مرآتها:

"ما الذي غيَّره فجأة؟!!

"لا أدري.. ربما الحسد.

"نعم هو الحسد..كانوا يحسدونني عليه.. كان عطوفا رقيقا، كان مولعا بي.. كان يدللني.. كان يقول لي إذا رآني مهمومة أضع يدي فوق خدِّي:

"لا تضعي يدك فوق خدِّك ولا تحملي همًّا طالما أنا عائش، كان يجتهد لإسعادي..كان يقول لي:

"يكفي أن تفكري في الشيء، فألبِّيه لك.. عشت ستة أشهر في الجنة.. ما الذي غيَّره؟!

تقول لها من في المرآة:

"ألم تعرفي بعد؟

"إنني أتذكَّر الآن.. جاءه تليفون لا أعرف مِنْ من؟ ولا من أين؟ ذهب ثم عاد بوجهٍ غير الوجه.. هل التقى ابنة عمه، وجدَّدا العهد بينهما؟!

"ربما!!

"وماذا كان يجب علي فعله؟

"لقد فعلت كل ما في وسعك للاحتفاظ به، فإن لم يكن هناك من نصيب فلا جدوى للبكاء على اللبن المسكوب.

"نعم فعلت ما في وسعي.

ترى نفسها في المرآة تمسك له بالفوطة حتى ينتهي من غسل يديه.. تلبسه الحذاء.. تكوي قميصه.. تداعبه فيصدُّها.. تحاول أن تضحكه فلا يضحك..

حتى أمه صار من الصعب إرضاؤها.. وهي تأخذ جانبه ضدَّها..

سمعت نفسها تقول لأمه:

"أنت بديلا عن أمي التي لم أر حنانها.. خذيني في حضنك.. تصدُّها برفق قائلة:

– تدلَّلي بعيدا عني.. لستِ طفلة.

تبدلت أمه مع تبدله.. رضيت بأن تستقبل ابنة عمه وتدللها؛ بل أحيانا تستدعيها بالتليفون لتغيظني كما كان يفعل هو، وكلما همت بالانصراف تقول لها:

"انتظري فوزي على وصول.. ثم تنظر لي وتقول:

– ابنة عمه، حبه الأول، والدها الله يسامحه فرق بينهما ورضي بخطبتها لرجل آخر.. لكنها رفضته وفسخت خطوبتها.. وقفت في وجه أبيها وقالت له: "لن أتزوج رغما عني."

وكأنها كانت تستفزني لكي أتشاجر مع ثلاثتهم فيجد سببا لطردي.

تنظر إلى من تحدِّثها في المرآة مليًّا.. تتفحَّصها جيِّدًا.. وفجأة تسألها من أنت؟!!.. أنا لا أعرفك..

تنظر وتحدِّق النظر وتقول:

– لم أر هذا الوجه من قبل.. قولي من أنت؟!! تعود وتحدق النظر تسأل عن ذاتها.. تنظر بعين زرقاء اليمامة.. تريد أن تَسبُر أغوار من تحدِّثها تراها من العمق.. تراها من البعيد.. تحاول أن تتعرف عليها.. تخاطبها بحدَّة.. ألا تقولين لي من أنت؟!

"تهز من في المرآة كتفيها.. أسفا وعدم فَهم.

**

## (ندوش)

# عند الامتحان

ظلت الأيام تتشابه، وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان أو يقف في مرحلة بينية، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

نجحت ندوش في الثانوية العامة وسط ذلك الصراع المتكرر بمجموع لا يسمح لها إلا بسنتين إضافيتين في معهد متوسِّط، فحمدت الله على ذلك.

رفضت نصيحة عمها بأن تعيد السنة لتحصل على المجموع الذي تستحقه، وتدخل الكلية التي تحبها، لكنها آثرت أن تنهي هذه المرحلة.

قالت جملة غريبة دهش لها:

- لا وقت يا عمي نضيعه في التعليم.

وها هي تتخرج ولا يفرح بها أحد؛ بل يعيّروها بفشلها.. خاصة أن شقيقها سامي دخل كلية الهندسة.. وأختها شيرين يتوقع لها

التفوق في الصف الأول الثانوي، فربما تدخل كلية الطب وتسعد بها الأم وترفع رأسها فخورة بتربيتها.

أما أنت (يا خيبة الرجا) فابحثي لك عن عمل تجهزين منه نفسك.. يكفي أن تحمَّلناك حتى تخرَّجت.

كان هذا كلام أمها تعليقا على خبر نجاحها في معهد السكرتارية.. فهزت رأسها بالإيجاب.

- حاضر سأبحث.

ظلت ندوش تبحث عن عمل مناسب دون واسطة أو دفع رشوة دون جدوى.. وكلما خرجت وعادت تسرع إليها شيرين تسألها:

- ماذا فعلت؟

فتقول لها:

- لا فائدة.

- ولا يهمك.. سيفرجها الله على أحسن ما يكون.

ثم تهرول مسرعة نحو أمها لترجوها ألا تتشاجر مع ندوش لأنها لم تجد عملا فليس بيدها شيء.. وإن شاء الله ربنا يفرجها قريبا، تنظر لها الأم شزرا وتلتزم الصمت الموقوت.

ويبدو أن شيرين هذه متصلة بالله أو مستجابة الدعاء، ففي وقت تأزم ندوش ويأسها من أن تجد عملا مناسبا إذا بعمها إلهامي يطلبها بالتليفون ويقول لها:

– باركي لعمك يا ندوش.. افتتحت شركة للهندسة.

– مبارك يا عمي.. زادك الله رفعة.

قال لها بسعادة:

– وباركي لنفسك.. اخترتك مديرتها.

– .....

– ما رأيك يا ندوشة في العمل مع عمه حبيبه، ترتاحين من وجه أمك، ويكون لك راتب مُغْرٍ.. أسمعت ماذا قلت: راتب مغرٍ؟

ضحكت وقالت:

– سمعت يا عمي وسعيدة جدا بهذا الخبر.. بل بالخبرين أتحب أن آتي لك الآن طائرة..

ضحك كثيرا وقال:

– لا يا "ماكرة".. غدا إن شاء الله..

– في الخامسة صباحا أليس كذلك؟!!

ضحك ثانية وقال:

– الساعة الثامنة والنصف صباحا أجدك على مكتبك.. أسمعت يا سيادة المديرة؟!

– بكل سرور سيادة رئيس مجلس الإدارة، سأترك كل أعمالي وانشغالاتي والوظائف التي تطاردني من أجل سعادتكم.

يضحك العم ويقول:

– أنا عارف بما ستضحين به من أجلنا.. ولكن نتمنى منك نظرة الرضا.

**

## (نادين)

# ابتسامة المهزوم

يا لـه مـن تاريـخ مـؤلم.. تنهـدت نادين وذهبـت للنـوم، فغـدًا يـوم عصيب لابد أن تكون فيه في كامل لياقتها.

لما وصلت نادين بصحبة أمل إلى بيت والدها وجدت أثاث بيتها فوق سيارة لنقل الأثاث تقف عند باب البيت والعمَّال يصعدون بقطعه قطعة وراء الأخرى.

ترنَّحت لكنها لم تسقط.. قرأت في عين صديقتها عبارة تماسكي.. وفعلت أمل حركة تدلُّ على عدم المبالاة، وقالت لها مشجعة:

– "ابتسامة المهزوم تضيع على المنتصر لذَّة النصر".

هزت رأسها بالإيجاب فأكدت عليها صديقتها:

– لا تفتحي سيرة ابنك وأين هو وتوتّري الأجواء بلا فائدة..

هزت رأسها بالإيجاب مرة أخرى مما شجع صديقتها أن تقول:

– ارضي بما قسم الله لك.. نحن مسيَّرون لا مخيرون.

نظرت لها نادين بدهشة.. فقالت أمل:

– اتفقنا أن نترك الأمر لله.. الذي لا تضيع عنده الحقوق.

هزت رأسها للمرة الثالثة باستسلام، وهمت بارتقاء الدرج المتهالك في بيت والدها مستندة إلى ذراع أمل، ومتحاشية العامل الذي يحمل مقعدا كان في بيتها يحتل صدارة المجلس، وكان يحب أن يجلس عليه حين تأتيه بطست الماء الساخن وتجلس أمامه القرفصاء منحنية الظهر في أيامهما الأخيرة تدلِّك قدميه حينا، وتدغدغهما حينا، وهو لا يبتسم.. بل يظهر التأفف والضيق.

خطر ببالها على الفور أنها الآن من يحق لها أن تجلس علي هذا المقعد منتفخة الصدر، مرتفعة الرأس.. لقد تحرَّرت من العبودية.

**

# (ندوش)

## ولاء

طلب العم ندوش للعمل معه وهو لا يعلم ما تعلمه ولاء صديقة طفولتها ولا أمها، عما حدث لندوش خلال تلك الفترة من هزة نفسية.

أم ولاء هي من اكتشفت اضطراب نفسيتها، وتوهان فكرها، وعدم تناسق كلماتها فسألتها عمَّا بها، قالت:

– أوجاع جسمي لا تنتهي والصداع مزمن يضايقني.. وكلما ذهبت لطبيب يشخِّص شيئا مختلفا، ولم يفلح أي دواء منها..

سألتها وعرفت عن طول نومها واضطرابه، وأيضا ضيقها عند استيقاظها ومشاعرها السلبية تجاه نفسها ومن تعرفهم، وعرفت ما يضايقها وما يفرحها.. ثم أدركت أن ندوش على وشك الدخول في مرض نفسي، فأخذتها إلى طبيب نفسي قريبها..

أطلعته على قصتها من البداية وصدمتها بالعودة إلى أهلها.. وصف لها الطبيب حبوبا لجلب الهدوء وأخرى لطرد الاكتئاب.

سمحت أم ولاء لابنتها أن تتعهد صديقتها وتذهب معها في كل لزيارة للطبيب.

تلك الإحاطة من ولاء وأمها والطبيب هي التي مكَّنت ندوش من أن تستعيد توازنها، وإلا لما استطاعت الحصول على أي مؤهِّل دراسي حتى المتوسِّط هذا..

فلها الآن ثلاث سنوات تتابع مع ذلك الطبيب الذي يساعدها بالعقاقير لكي يضبط لها كيمياء المخ حتى تتقبَّل التغيير الطارئ في حياتها..

الحقيقة أن ندوش تقتنع تماما بعبارة أن الإنسان طبيب نفسه، فكانت من تلقاء نفسها تلجأ للطبيب كلما شعرت بأي تغيير طفيف في حياتها، سواء في نفسها أو خارجها، سواء أكان مفرحا أو حزينا.. وهو لا يبخل عليها بالنصيحة كما لا يبخل عليها بالعلاج المناسب الذي كان يغيره زيادة ونقصا كلما استدعى الحال.

ولقد ساعدها الطبيب بالفعل على اجتياز أزمتها وتفهم موقف أمها وأخويها.. علمها كيف تمتصُّ غضبهم وتحول حقدهم عليها إلى حب ومودَّة..

نجحت ندوش بالفعل في كسب ثقة أخويها وتعاطفهما معها في أغلب الأحيان، خاصة بعيدا عن عين الأم..

شجَّعها الطبيب على قبول عرض عمها بالوظيفة.. قائلا لها:

– هذه فرصة جاءتنا من السماء حتى تستعيدي ثقتك بنفسك وتكوني بجانب العم الذي ربَّاك وتحِبّينه، ويعطف عليك أكثر من أمك...

وفي الوقت نفسه تملئين عين الأم بإعطائها جزءا من راتبك فتتحسن العلاقة بينكما وتحدث الهدنة.

**

# (ندوش)

## مصطفى

تسلمت ندوش العمل في مكتب عمها.. ولكن لم تكن لها الكلمة الأولى على الموظفين كمديرة.. بل كانت لمصطفى..
الشاب "الجوكر" في المكان.. "فهو كالجن المصور" يقوم بكل الأعمال على أكمل وجه وينفذ كل الأوامر التي يصدرها إلهامي بك، ينفذها في وقت واحد وبسرعة فائقة وقدرة عجيبة.. والعجيب أنه من الممكن أن تراه في أكثر من مكان في وقت واحد أيضا.. كل هذا مع خفة ظل ومرح لا ينتهيان.. فأينما حل كانت البهجة.

مصطفى خريج كلية الهندسة من القسم نفسه الذي تخرج فيه إلهامي بك.. تقدم لهذه الوظيفة ورشحه لها تفوُّقه؛ ولكنه قريب عهد بالحياة العملية فخبرته قليلة.. قَبِل به العم قائلا:

– الخبرة تأتي بالممارسة.. ولابد أن أعطيك فرصة للممارسة.. المهم الذكاء وهذا متوفر لديك، ويبقى الإخلاص في العمل والانتماء للمكان الذي تعمل به.. وهذا ما سوف تثبته لنا الأيام.

– بكل تأكيد إلهامي بك.

– اعلم يا مصطفى أن أكثر شيء أكرهه ويجعلني أدمِّر الدنيا بسببه هو الخيانة.

– اطمئنَّ يا إلهامي بيه..لا يمكن مقابلة المعروف بالإساءة.

– أي رأي تريد قوله قله بلا تردد، أي شيء لا يوافق هواك أو صالح العمل عبِّر عنه فورا.. لو شعرت أن راتبك لا يتناسب وجهدك اطلب الزيادة، لو أردت ترك العمل من أجل مكان آخر ترى فيه نفسك أفضل، أعلن هذا بصراحة ووضوح.

وافق مصطفي على كل التنبيهات وعبَّر عن سعادته بها؛ لأنها تعطيه مساحة كبيرة من حرية الحركة التي تساعده على الإبداع في عمله.

وبالفعل في وقت وجيز نال ثقة كل الموجودين بالشركة وشهدوا له بالكفاءة، فقربه العم من ندوش قائلا له:

هذه ابنة أخي بمثابة ابنتي، علمها كل شيء؛ فقد أترك لها المكتب في يوم من الأيام.

قال مصطفي:

– إنه شرف لي أن أنال كل هذه الثقة.. اطمئن سأكون عند حسن ظنك بي.

ارتاحت ندوش لصحبة مصطفى.. وثقت فيه لثقة عمها فيه.. وصارا لا يفترقان فهي معه في كل مشاويره الخاصة بالشركة، ثم معه آخر اليوم في أماكن النزهة.

جربت مرة أن تخبر عمها بأنها بالأمس خرجت ليلا مع مصطفى في نزهة.. ابتسم العم وأمسك ذقنها وقال:

– كبرتِ.. ابنتي الصغيرة تحب.. مصطفى شاب طموح وابن حلال وأنا أتمناه لك.. أنا في انتظاره.

ثم بدأ العم نفسه يلمح لمصطفى، ويستحثه على طلب يدها، على مقولة اخطب لبنتك، ولا تخطب لأبنك:

– ندوش ابنتي حبيبتي.. حظه من السماء من يرتبط بها، وأنا من سيجهزها.

ويشعره أنه إذا تقدم سيجد ترحيبا.

**

## (نادين)

# مشيئة الله

قال لها الحاج حسين:

– ما طلباتك يا ابنتي؟

– لا شيء يا فضيلة الإمام.

ضغطت أمل على ذراعها أن أحسنت.

قال الحاج حسين:

– إننا يا ابنتي تحت سماء ربنا ننفذ مشيئته.

– ونعم بالله يا حاج.

– القلوب بين يدي الرحمن يقلبها كيف يشاء.

– الحمد لله على كل حال.

– الرجل أحضر لك حاجياتك كاملة يمكنك إلقاء نظرة عليها.

– لا داعي.. كله تمام.

– وهو جاهز بالمؤخر ومتعة سنة.

– أكثر الله خيره.. لا داعي للمتعة، يكفيني المؤخر.

– هو يعلم أنك كنت زوجة صالحة وليس لك ذنب في تطور الأمور بينكما.

– لا داعي للتبرير.. راضية بنصيبي.

أمل التي تمسك بذراعها طوال الوقت لتشد من عزمها.. مذهولة من ثباتها وهدوئها ولم تعلم بقدر المهدئات التي تناولتها قبل مجيئها.

ابتسمت لها تشجيعا واستحسانا.. قال الحاج حسين:

– على بركة الله يابنتي.. لك الأجر والثواب إن شاء الله.. حقيقي كنا نخشى أن تثيري الشغب ويكثر الجدل والمساومة وهذا حقك.. ولكن متعك الله بعقلك ورضاك بقدر الله.

تهكمت على نفسها من جملة بعقلك وهي تردد لنفسها:

"مجبر أخاك لا بطل".. ثم التفتت إليه:

– والمطلوب مني يا مولانا.

– فقط إمضاؤك يا ابنتي.

– وقّعت على الأوراق وألقت نحو طليقها نظرة أخيرة متفحصة.. لم يلحظها لأنه كان ينظر إلى الأرض في خجل.

راق لها المشهد وتمنت تصويره.. جذبتها أمل متجهة بها إلى غرفة والدها.. فإذا بوالدتها بالداخل، وأسرعت في أخذها بحضنها، فاستسلمت نادين بين يديها.

**

## (ندوش)

# اكتشاف

كانت ندوش في يوم معين من الشهر تتغيب عن الشركة وعن مصطفى ولا يعرف أين..

لم يهدأ له بال حتى عرف.. ظل يراقبها حتى رآها تدخل عند طبيب نفسي، ووقف على حالتها المضطربة بالرشوة من السكرتيرة الموجودة بالعيادة..

ندوش مضطربة نفسيا.. تعاني من فصام.. فسَّر له هذا الاكتشاف بعض التصرفات غير المحسوبة.. وبعض السرحان المفاجئ وبعض التهيُّئات التي تحكيها له وهو يحار في وصفها؛ أهي صادقة أم تختبره، أم ماذا؟!

لم يخبرها مصطفى بما عرف لكنه استغل الحال، فبدلا من أن يكون هو المستقبِل لتهيُّآتها، أصبح هو المصدِر لها وبلا رحمة.

يوهمها بما يريد.. يضع على لسانها ما يشاء قوله.. وما يريد الحصول عليه من عمها.

أكثر من هذا كان يوهمها بأشياء لم تفعلها فتصدِّقه..

استمرأ مصطفي اللعبة، وهي في كل يوم تتعلق به أكثر وأكثر حتى صار إذا قال لها: "ارمي نفسك في البحر" لفعلت..
لكنه لم يقل هذا؛ بل قال وفعل ما هو أسوأ..

**

طوَّر مصطفى أدواته في قنص الضحية، ففي يده عصفور بريش ذهبي يمكنه عن طريقه الاستيلاء على كل شيء.
في البداية كانت عينه على الشركة ذاتها.. والذي يشجعه أن العم دائما غائب عنها في معاملاته وتعاقداته الخارجية، وتذكر أنه قال له: "قد أترك لها الشركة يوما ما.. وتذكر أن عمها لمح له أكثر من مرة وفهم من تلميحاته أنه يريده أن يتقدم، فتقدم..
نعم بدأ خطته بخطبة ندوش.. لكنه كلام شفوي..
– أتمنى يا عمي خطبة ندوش ومصاهرتك شرف لي.
– أنت تعز علي يا مصطفي وأنا أطمئن عليها معك.
– بالطبع يا عمي.. أنا كنت أريد ذلك من مدة طويلة ولكني كنت خجلا من فرق المستوى.
– أي مستوى يا مجنون.

شجعه العم أنه لا يوجد فرق، والإنسان الناجح هو من يبدأ صغيرا ويكبر.. المهم اجتهاده وذكائه ونيته الخالصة.

رجاه مصطفى أن يبقى الأمر على ثلاثتهم مؤقتا حتى يستعد تماما للذهاب إلى بيت والدها ومقابلة أسرتها، وحينها سيكون جاهزا ليتمم كل شيء في أسرع وقت ممكن.

صدَّق العم روايته ووافق عليها.

**

رغم سعادة ندوش بخطبة مصطفى لها، وإعجابها بذكائه وحسن تدبيره.. فإنها نكست رأسها حزنا.

سألها العم عما بها فقالت:

- لا شيء.. ولما ضغط عليها قالت:

- كيف يذهب لبيت أهلي ذلك البيت القديم المتهالك بسلَّمه المكسر وشقته الضيقة، وجدرانه المتهدمة.

فكر العم وقال:

- والله كان هذا الموضوع في بالي منذ أن انتقلتِ إليهم، ولكن المشكلات التي سببتها لك أمك "سدت نفسي" عن فعل أي شيء،

قلت إنها لا تستحق أن تنتقل لشقة جديدة.. الآن حان الوقت يجب أن يكون لكم شقة مناسبة.

واستأنف:

– ربنا كريم أن أعطانا مصطفى هذه الفرصة لتحسين أوضاع البيت.. إن شاء الله خلال أيام تنتقلون لشقة جديدة أدفع أنا مقدمتها، ويعينكم الله على إيجارها.. لأجل عيونك يا ندوش.

– شكرا يا عمي.. عوضك الله خيرا.

– العفو يا حبيبتي.. أقل شيء أقدمه لابنتي الجميلة.

لما ظن مصطفى أنه اقترب من تحقيق حلمه.. قدر الله له أن يرزق بعقد عمل إلى دولة خليجية.

أمضى ليلة كاملة يفكر أيهما أهم؟.. ثم اقتنع أن السفر أضمن له.. فعملية الفوز بالشركة ليست بالأمر الهين، وقد تحدث أمور تغير التدابير، إذًا فليفز بشيء آخر قبل طيرانه..

**

## (ندوش)

# الوهم

مع بداية الشهر الجديد انتقلت أسرة ندوش إلى الشقة الجديدة التي سعد بها شقيقاها أكثر من الجميع.

أغلقا الشقة القديمة على بعض الأثاث المتهالك وأخذا ما يصلح منه مع بعض السلع المعمِّرة، وتكفل العم مع ما ادخرته ندوش من راتبها بتجهيز ما ينقص.

كانت شكوى ندوش هذه المرة لطبيبها النفسي، غير مبررة بأنها مصابة بأرق ليلي وأنها تبكي كثيرا بلا سبب.. وتصحو من نومها بشعور أن أحدا يخنقها.

سألها الطبيب عما طرأ جديدا في حياتها فكلمته عن خطبتها وتغيير سكنها.. قال الطبيب:

– هذا كفيل لأن يصلح نفسيتك، فلماذا أنت حزينة وكئيبة.. وأيضا حالتك في تدهور مستمر؟

لم تعرف ندوش بماذا تجيب، لأنها بالفعل لم تدرك أن هناك شيئا مختلفا.. ولم تعِ أنه بسبب ضغط مصطفي عليها ورسائله السلبية لها.. كان الطبيب أمام ما يرى من حالتها يزيد لها الجرعة وهو مندهش.. ومن حيرته أخبر قريبته أم ولاء التي يهمُّها أمرها، بأن هناك شيئا غير طبيعي يحدث في حياة مريضته لا يعرف ما هو، ولم تخبر به، وهذا الشيء خطر عليها فلابد أن تنتبه له.

كلفت أم ولاء ابنتها أن تراقبها، فلابد أن نقف على هذا السر لكي ننقذ البنت قبل فوات الأوان.

ذهبت ولاء معها إلى شركتها عدة مرات ولم تلحظ أي شيء غير طبيعي، فمصطفى الحريص جدا، والذي نبه عليها وينبه دائما ألا تبوح بعلاقتهما لأحد لا يمكنه أن يخطئ أو يصدر منه ما يدعو للشك.

أحكم مصطفى لعبته، فبعد أن شحنها بقدر كبير من الأوهام أقنعها أنهما زوجان، ويحق لهما التعامل كزوجين، وقرر أن يريها عش الزوجية..

أخذها ليلا إلى مكتب عمها، فمعها مفتاح وهو معه مفتاح لذات المكان، ألا يثبت ذلك أنه بيتهما.. وكان ما كان..

تركها نائمة فيما توهمت أنه بيتها وطار لبعيد.

كان مصطفى قد جهز أوراقه دون أن يخبر أحدا.. وفي ليلة السفر قرر ألا يغادر دون أن يفعل جريمته.. ويذهب بلعنتها.

قامت ندوش في الصباح الباكر لتجد نفسها على تلك الحال المزرية.. أدركت ما حدث واستوعبت ما هي فيه من مأزق وهذا مكتب عمها..

لطمت خديها وعضت أناملها، ثم أدركت أنها يجب أن تغادر المكان قبل أن يأتي أحد الموظفين..

لملمت خِزْيَها وعدلت هيئتها.. وعقلها يستعرض صور من يمكنها أن تلجأ إليه في هذه الحال.

فكرت أن تتصل بولاء لكنها عدلت عن الفكرة؛ خوفًا من أم ولاء التي لو عرفت لمنعت ابنتها عنها..

هل تخبر أمها؟ كيف بصوتها العالي وسرعتها في الجهر بالسوء.

فكرت وفكرت ثم أسرعت وارتمت في حضن سهير.

**

**(نادين)**

# جمع الأدلة

تأخرت نادين عن المستشفى كثيرا.. فقد سمح لها مدير المشفى بعد طلاقها بأسبوع إجازة حسب طلبها، لكنها تمادت وانتهى الأسبوع الثاني ولم تعد لعملها.. فلما انشغل الجميع عليها، أكدت لهم أمل أنها بخير فهي تتابعها بالتليفون وترد عليها.

قال المدير:

– وما الذي أخَّرها عن عملها؟!

قالت أمل:

– هي لا تزال تعيش في أزمتها وتخشى أن يؤثر ذلك على عملها.

طلب المدير من أمل راجيا أن تذهب إليها ولابد أن تأتي بها.. قائلا:

– يجب أن تكون في وسطنا ولا نتركها لوحدتها وأحزانها.

ذهبت أمل لتقنعها بالعودة لعملها.. فوجدتها في ذهول وإهمال كبيرين سواء في نفسها أو بيتها.

– ما كل هذه الفوضى يا نادين؟!

– الولد شقي جدا.. يقلب البيت كما ترين.

– أي ولد حبيبتي؟!

– ابني جمال.

– وأين هو؟!!

– داخل هذه الغرفة.

– أهو حي.. ألم يغتالوه؟!!

خفضت صوتها واقتربت تهمس في أذنها وكأنما ستلقي عليها سرا:

– نعم هم اغتالوه.. ولكنه ضحك عليهم جميعا.. ولن يهدأ له بال إلا بعد أن يأخذ بثأر نفسه.

فعلت أمل مثلها وهمست لها:

– وكيف سيأخذ بثأر نفسه؟!!

– ألم تَرَيْ كم يثبت حقه يوما بعد يوم.. ألم تري صوره في التليفزيون وكلامه الذي أغاظهم.. ألم تري كل الأيادي التي تشير نحو ولي أمره بأنه هو الذي حرّض وأمر بقتله؟!

– نعم رأيت.. وأكثر من هذا!!

– هل رأيتِ القتلة وهم يدخلون السفارة ويخرجون منها؟!!

– نعم رأيت.!!

– بعد ذلك ذهبوا لبيت القنصل ومعهم حقائب كبيرة.. ألا تعلمين ماذا في هذه الحقائب؟!!

– قولي أنت.. ماذا فيها؟!

– جثة ابني جمال.

– جثة ابنك جمال في كل هذه الحقائب الكبيرة؟!!

– نعم.. لما أحد يموت الجثة تكبر.

– عمن تتكلمين يا نادين؟! أنت تخلطين "الحابل بالنابل"..

– عن جمال.

– جمال ابنك غير جمال الآخر الذي اغتالوه في السفارة.

نهضت نادين وأخذت أمل من يدها وجذبتها إلى حجرتها وهي تضع إصبعها أمام فمها أن اخفضي صوتك.. قائلة:

– تعالي.. تعالي لتري كل شيء بنفسك.

دخلت أمل الغرفة.. فوجئت بما أذهلها..

نادين تجمع الكثير من صور المغدور جمال خاشقجي وترصها على حوائط الغرفة حتى ملأتها، وبين تلك الصور، صورة السونار الأخير لابنها وهو ميت في بطنها..

ارتمت قاعدة أمل على حافة السرير وقالت:

– كيف فعلت ذلك كله.. من أين جاءتك هذه القدرة وهذا الصبر الطويل؟!!

ابتسمت معجبة بنفسها وقالت:

– لابد أن أجمع له كل الأدلة حتى يأخذ بثأر نفسه.

هدَّأت أمل نفسها، ثم أخذتها من يدها ولم توبخها أو تعاتبها، ولم تُظهر لها اعتراضًا على أفعالها؛ بل قالت لها:

– أحسنت.. خيرا ما فعلتِه.. ما شاء الله عليك وعلى همتك.. أنا معجبة بك جدا، وأغبطك في الوقت نفسه.. لقد جئت لآخذك إلى المستشفى.. المدير والأطباء وكذلك الممرضات يريدونك بشدة ولا يستغنون عنك، وأطمئنك هم سيتعاونون معك في جمع الأدلة.

كان همُّ أمل الآن أخذها للمستشفى لا كممرضة بل كمريضة، فقد تفاقمت حالتها وتحتاج علاجا ومتابعة وإلا يحدث ما لا يحمد عقباه.. وطبيبها المعالج الذي يفهمها جيدا، هو من يستطيع أن يخرجها من أزمتها بحسن كلامه وحكمته.

وقفت نادين مترددة تفكر ماذا تفعل.. نظرت إليها أمل تحثها على الإسراع.. فأسرعت معها.

**

# (ندوش)

## سهير

سهير صاحبة البوتيك القريب من بيتهم الجديد.. تعرفت عليها ندوش من سامي شقيقها.. فالباشمهندس الذي تفخر به أمه وتردد كثيرا:

"ابني الباشمهندس زينة الشباب.. فخر العيلة.. سيكون مثل عمه إلهامي لا كوالده المتعوس..."

الشيء الوحيد الذي كان ينغص عليها هذه الفرحة قلة ذات اليد، فلا يجدي شيئا كل المحاولات ولا تحاول الأم توفيره من مصروف البيت، ولا ما تعطيه له ندوش سرا وعلانية أن يجعله كفئا لزملائه...

فهو أقلهم هنداما، وأقلهم في مصروف اليد، وأقلهم إسراعا في شراء ما يلزمه من كتب.

ما أن سكنوا في تلك الشقة حتى تعرف سامي على سهير؛ فأعجبه حديثها ولباقتها وجسارتها أحيانا.. ثم أسلوبها في جذب الزبائن.. فهي نموذج من النساء لم يألفه.

صار يمر عليها ذهابا وإيابا من كليته، حتى احتل هذا اللقاء موقعا مريحا من نفسيهما معا..

تدخَّل مرة في عملية شراء بدلة وساعدها في إقناع الزبون بالشراء فوضعت في جيبه مبلغا من المال قائلة:

– هذا حقك.. وعرضت عليه أن يأخذ من عندها بدلة وبلوفرا بالتقسيط.. ولما قال لها:

– من أين آتي لك بقيمة القسط؟ قالت:

– ليتك تأتي وتساعدني في المحل ولو ساعتين في اليوم..

فرح سامي بالعرض وشجَّعته أمه فلابد أن ينقذ نفسه من الفاقة.

عمل معها سامي لبعض الوقت كل يوم، وكلما حان وقت الانصراف كانت تضع في جيبه نقودا، فصار وكأنه يأخذ مصروفه من أمه.. وأيضا في كل مرة يلتقي فيها سامي بسهير كانت تزداد الألفة بينهما.

لما رأته سهير مهموما أخذته في حِضنها وأصبغت عليه من عطفها، فأخذ نفَسًا عميقا انتشر في جميع خلاياه محمَّلاً برائحتها.

زادت العلاقة بينهما حتى أصبحت مدام سهير هي من تبكي في حضن الباشمهندس، وتشكو له وحدتها، منذ أن ترمَّلت، ولا ولد يؤنس وحدتها ويتسلم منها المحل بعد حياتها، ولا حبيب يملأ قلبها وعقلها، ثم عبَّرت عن مدى سعادتها كلما رأته، وأن وجوده في حياتها أصبح من ضروريات الحياة كالماء والهواء والأولويات بالنسبة لها.

فقال:

– لا أعرف ما الذي يجذبني إليك؟ وقوفي معك في المحل شيء أتعمده، فلابد أن أراك في غدوي ورواحي..

قالت:

– كلمني عما يجذبك في.

قال:

– ليس عندي الشجاعة الآن.

قالت:

تتزوجني.؟!!

صمت لا يعرف بماذا يجيب فأكملت وهي الخبيرة في النفوس:

– كل أملي أن تبقى بجانبي طوال الوقت.. ثم إن الهندسة لن تُدِرَّ عليك ربحا كما تتخيل.. هذا البوتيك يكسب أحسن من مائة مهندس..

مائة ناقوس دقت في رأس الشاب الغِرِّ الطموح أو قل: الطامع فأمضى ليلته يفكِّر في كلامها، إذا تزوجها فبأيهما يفوز.. بها بحنانها ونضارتها، أم بالبوتيك ومكاسبه.. بالتأكيد سيفوز بهما معا..

والغريب أن أمه التي شجعته من قبل على مد يده لمدام سهير ليأخذ مصروفه، هي التي تشجعه اليوم على أن يتزوجها بشرطين اثنين..

أن يبقى الزواج سرا، والشرط الثاني ألا يترك كليته أبدا..

وقالت له صراحة:

– بعدما تتخرج طلِّقها.

**

## (ندوش)

# سهير ٢

سهير التي تقترب من سن أمه.. أصبحت بعد زواجها من سامي صديقة الجميع عرفت كيف تستدرجهم واحدا وراء الثاني وتغرقه بكرمها.. تعرَّفت على أمه، وصارت سرها الدفين.. توددت لأختيه شيرين أولا وألبستها من المحل والحساب فيما بعد.. أنت أخت الغالي.

أما ندوش فقد لمست فيها الطيبة وعدم التركيز، فكانت تنصحها بالثقة في النفس كلما التقت بها، ولكن ندوش كانت مقلة في التعامل معها، فلم يعجبها الحال من بدايته ولم تُرِدْ أن تكون شريكة في الجريمة التي تخطط لها الأم والابن معا.. ولا يمكنها تغييره، فلما نصحته مرة بألا يتطلع بعيدا عن قدراته نهرها قائلا:

– أنت لا تفهمين في الحياة.. إذن ما باليد حيلة.

الآن ندوش في مأزق لا يمكن أن تُخبر به صديقتها ولا حتى طبيبها ولا أمها، فمن يشاركها وينصحها ويدلها على الحل..

– والله يا أبلة سهير الآن فقط أشعر أنك تزوجت أخي من أجلي أنا.. فماذا أفعل؟!

– ولا يهمك يا حبيبتي كل مشكلة ولها حل وسرك في بير..

ثم شمخت برأسها وقالت:

– مع سر أمك.

– اهتز جسد ندوش من الكلمة، ليس لأن والدتها لها سر باحت به لهذه المرأة، بل لأنها اعتبرت تلك الجملة في حد ذاتها هي إفشاء للسر الذي بينهما، فكيف ستخفي سرها فيما بعد.

تذكرت قول شاعرها المفضل جلال الدين الرومي:

"والجاهل وإن يبدي لك الود، فإنه في النهاية يصيبك بالجراح من جهله"

قلقت ندوش من المرأة من حيث كان يجب أن تطمئن..

ولكن انطلق السهم ولا عودة..

ثم من غيرها يمكن أن تخبره ويقف بجانبها بخبرتها وتجاربها.. سألتها ندوش من بين دموعها:

– ماذا سنفعل يا أبلة؟!!

– عملية يا حبيبتي.

– عملية!!

– نعم عملية يرجع كل شيء لأصله وكأنه لم يحدث شيء.

واستطردت:

– ولو كان ليس معك ثمن العملية أقرضك.. المهم نستر عليك.

تلعن ندوش في سرها الظروف التي ألجأتها لتلك المرأة المرابية التي تلعب "بالبيضة والحجر" فهى لم تأنس لكلامها أبدا ولم تطمئن لها.. لكنها الآن الملجأ الوحيد.

استجمعت ندوش نفسها ومسحت دمعها وقالت:

– ومتى هذه العملية؟ أريدها بسرعة.

– ليس الآن بالطبع فربما حدث شيء آخر لم نتبينه الآن.. ربنا يستر وإلا ستكون العملية عمليتين.

– لم أفهم ما تقصدين.

ضحكت ضحكة خفيفة متهكمة وقالت:

– البنت ساذجة يا ربي وبريئة.. ربنا يوقعه في شر أعماله.. اطمئني يا حبيبتي ربنا سينتقم منه.

– لم أفهم لماذا ننتظر وربما تصير العملية عمليتين؟!!

– يا حبيبتي ربما حملت لا قدر الله.. نعمل العملية الآن ونقفل على الجنين.

– وكيف سنعرف إذا كنت حملت أم لا؟!!

– شهر بالكثير.. ومن أول دورة شهرية فقط.. إذا جاءتك الدورة القادمة تعالي وأخبريني.. أرتب لك كل الأمور.. وإذا لم تأتك لا قدر الله... أيضا ولا يهمك سنتصرف.

–.....

– هيا اغسلي وجهك وارفعي رأسك.. وإياك إياك أن يلحظ أي أحد أنك مهمومة.. أنا طمأنتك ومتكفلة بكل شيء.

ثم ضحكت وقالت:

– قرض حسن.. دين عليك تدفعينه بالتقسيط المريح.

**

## (نادين)

# أم جمال

انتحت نادين بصديقتها أمل وقالت لها:

قررت أمرا أريدك أن تساعديني عليه.

– خيرا إن شاء الله.. ما هو؟!

– أريد أن يصبح اسمي.. أم جمال.

فغرت أمل فاهها ثم ضحكت وقالت:

– يا شيخة.. ظننتك ستولعين الدنيا.. أو تحرقين روما.

وهمت أمل أن تمشي من أمامها فأمسكت بها نادين:

– انتظري أنا لا أمزح.

التفتت إليها أمل متحفزة:

– أم جمال؟! جمال الذي لم تريه، ولم تحمليه، ولم تلقميه ثديك.. من جمال هذا؟!!

انفعلت عليها نادين:

– جمال ابني فلذة كبدي بعض مني، رأيته بقلبي، وحملته في بطني، وغذيته بدمي، ومات داخلي.

ثم أكملت:

– جمال ابني الذي اغتالوه داخلي.. أنا بيته.. دخلوا وراءه بيته واغتالوه.

– عن أي جمال تتكلمين بالله عليك؟!!

– للاثنين الظروف نفسها.. كل منهما اغتيل ظلما، كل منهما اعتبره وليُّ أمره أنه ينغص حياته، وعقبة في طريقه ويريد أن يتخلص منه، كل منهما مات في بيته في حصنه في أمانه.. ألم تقولي ذات مرة أن سفارته بيته وحمايته.. لم يعتبروا لحرمتها.

قالت أمل:

– فرضًا مع قولك.. جمال خاشقجي وليُّه أو ولي أمره كما تقولين أرسل له رجالا فقاموا باغتياله..

جمال ابنك، هل أرسل لك وليُّه أو والده رجالا حتى يغتالوه؟!!

– نعم .. ليس رجالا فقط.. بل جيوشا من الفيروسات القاتلة.. دخلت جسدي الواهن مع الحزن والألم والوحدة والغيظ وحرق الدم،

وانتفضت كرات دفاعي البيضاء تقاوم وتقاوم حتى عجزت وفقدت قدرتها على المقاومة فاستسلمت...

صرخت فيها:

– ماذا في استطاعة جمال المسكين المحاط بكل هذا الكم من القتلة أن يفعل؟!! ظل يختنق ويختنق حتى لفظ أنفاسه.

كانت أمل تسمع وتدهش وكلما حاولت الكلام أسكتتها نادين حتى أكملت كلامها وسكتت محدقة في السقف.

فقالت أمل:

– تربطين بين الحدثين بشكل عجيب وغريب.. ولو جادلتك أكثر لأكثرت في التشبيه حتى ذهبنا إلى الأمم المتحدة معا..

نرجع لموضوعنا.. ماذا تريدين مني بالضبط وأنا أساعدك فيه؟

– أن يكون اسمي أم جمال.

– والمطلوب مني.

– تناديني يا أم جمال.. وأي واحدة من الممرضات والعاملات تناديني باسمي تنهرينها وتحثينها على قول: يا أم جمال..

سكتت نادين قليلا وقالت:

– البنات والأطباء فقط عليك؛ أن تقولي لهم بأنني أفضّل أن ينادوني بأم جمال.. كلهم يعرفون مدى ألمي وحزني على فقد ابني..

ثم صاحت:

– أكثير عليَّ أن يفعلوا شيئا من أجلي؟!!

– لا.. ليس كثيرا.

أكملت نادين:

– أما المرضى فدعيهم لي.. المريض الذي يسألني عن اسمي فهو يقبل أي اسم أقدمه له..

ثم صرخت فيها:

– فما المشكلة؟!!

هزت أمل رأسها في استسلام:

– لا مشكلة على الاطلاق أبشري.. والله المستعان.

**

## (ندوش)

# ثورة الأم

لم تنم ندوش ليلتها.. تارة تفكر في همِّها وورطتها التي لم تتوقعها.. وتارة تحاول أن تستنتج سر أمها الذي أخبرت به سهير.

ثم استقر رأيها على همها وحدها وكيف لو حدثت مشكلة أخرى وصارا عمليتين ومن أين تدبر لهما المبلغ خاصة أنها قررت عدم الذهاب إلى شركة عمها.

انشغل العم ليومين في أعماله ومقابلاته ثم انتبه لغياب مصطفى وندوش في وقت واحد فاتصل بندوش وجد تليفونها مغلقًا.. اتصل بتليفون مصطفي وجد تليفونه خارج الخدمة، فذهبت به الظنون كل مذهب... اتصل بأهل مصطفي ولم يفصح عن نفسه..

ردت أمه وقالت:

- إنه سافر للعمل في الخليج.

سألها:

- ومن معه؟!!

قالت:

– وحده.

أغلق الخط ولم يصدق، انطلق إلى بيت أخيه يسأل عن ندوش وجدها تلزم حجرتها مكتئبة حزينة منذ يومين..

هكذا قالت أمها:

ضحك العم وقال:

– أنا أعلم سبب حزنها.. دعيني معها.

أخذ يداعبها ويربت على خدها وشعرها وقال:

– حزينة من أجل سفر مصطفى!!.. تخشين عليه من بنات الخليج.

طوحت رأسها ولم ترد.. أكمل العم:

– سيعود.. أين يجد أجمل وأطيب منك.. وأكيد لم يخبرني نيته حتى لا أمنعه من السفر.

قالت في نفسها:

"الأطيب هو أنت يا عمي.. بحسن ظنك بالناس."

ثم استأنف كلامه:

– وأنت "يا عكروتة" تتفقين معه علي ولم تخبريني.

هزت رأسها بالنفي فقال:

– معقول!! ألم يخبرك أنت أيضا!!.. أم أوصاك بالكتمان!!..

على كل حال لن أغفرها له.

سكت قليلا وقال:

– هذا الولد المغفل أيظن أنني أقف في طريقه!!

ثم قال:

– اسمعي يا ندوش.. لما يكتب لك قولي له:

– عمي يهنئك على السفر.

قالت في نفسها:

"أيكتب لي!!"

استأنف العم كلامه:

– تفضلي قومي غيّري ملابسك، وهيا معي على الشركة.

– لا يا عمي لن أذهب إلى الشركة.. سأبحث عن عمل آخر..

– عمل آخر!!.. عمل آخر!!... لماذا؟!!

ثم ضحك وقال:

– صاحب الشركة ضايقك في شيء!..

– ليتهم جميعا مثل صاحب الشركة يا عمي.

– إذن ما ذنبه عمو حبيبه حتى تأخذيه بذنب غيره.

– الأبرياء دائما يؤخذون بذنب الفسقة.

– الله.. ندوش الحكيمة عادت إلينا.

دفعت الأم التي كانت تتنصت الباب بقوة وهي تقول:

– تتركين الشركة؟!! وكيف تعيشين.. ومن مصطفى هذا الذي أنت حزينة عليه!!

نظرت للعم وقالت:

– ما الذي يحدث من خلف ظهري؟!! قل لي.

وظلت تبرطم والعم يهدئها..

– يا سيدتي سنحل المشكلة ولو صممت على ترك الشركة سأدفع لها راتبها.. أنا متكفل بها اهدئي.. دعينا نفكر.

– كيف أهدأ وفي ماذا نفكر، وهل هذا يحتاج إلى تفكير؟

– أنا الذي ربيتها.. وأفهم مدى حساسيتها فاطمئني سنتجاوز الأزمة..

لكنها لم تهدأ.. ظلت تعصف حمما من فمها فلم يتحمل العم صوتها المزعج، أسرع ينجو بنفسه، بينما ندوش تقول في نفسها: "منذ فترة طويلة لم أر هذا المشهد الدرامي البديع.. تقريبا منذ بدأت أدعم مصروف البيت والأخوات."

أما عمها فكان كلما مر يوم ولم يتصل مصطفى يقلق خوفا على قلق البنت الذي يظنه من أجل حبها، ولا يعلم أنه على مصيبتها الكبرى والتفكير فيما يجب عمله حتى تخرج من ورطتها، وأنها لا تنتظر منه اتصالا..

**

## (نادين)

# أمل

أمل ممرضة متخرجة في كلية التمريض فهي "السنيور أو الريسة كما ينادونها" في المستشفى، ورغم أنها رئيسة الممرضات.. لكنها تتعامل مع الجميع بتواضع جم وحب.. وهذه هي سمة مستشفى دكتور أسامة.. لها سنوات طوال على رأس عملها الذي تقوم به بحب وتفانٍ.. تحظى بمكانة عالية في المستشفى لمؤهل البكالوريوس الذي تحمله من ناحية، ولحسن أخلاقها أيضا.. يقربها الأطباء ويقدرون ثقافتها التمريضية وحبها لمهنتها..

توطدت العلاقة بينها وبين نادين ربما من أول يوم جاءت فيه نادين إلى المستشفى.

فعندما جاءت نادين، وعرفت الممرضات أنها جاءت بواسطة دكتور منير الذي يجلب الكثير من الحالات إلى المستشفى تقرَّبن منها، ولكن قرب أمل لم يكن من ورائه غرض انتفاعي لمكانتها وثقتها في نفسها؛

لكنها أحبتها لوجه الله.. جاءت نادين في وقت كان المستشفى مليء بالمرضى وكانت الممرضات يشكون التعب وقلة التقدير..

جاءت نادين فحملت عنهن عبئا كبيرا بتفانيها وإخلاصها في العمل.. كانت نادين في بداية عملها بالمستشفى حذرة من كل من حولها.. صامتة لا تحكي شيئا عن حياتها مع الزميلات.. حتى لما سألنها عن علاقتها بدكتور منير أو مدى القرابة بينهما لم تجبهم واكتفت بقولها:

– اسألوه.

أمل أيضا كانت حريصة في التعامل مع نادين في البداية.. فسألتها نادين:

– أشعر أنك مختلفة عن الزميلات، سواء في أسلوب التعامل مع المرضى والدكاترة وحتى في تعاملك معي.

هزت أمل رأسها اعترافا بقوة ملاحظتها وقالت:

– ألأنني لم أسألك عن حياتك وظروفك ومعرفتك بدكتور منير؟

هزت نادين رأسها:

"أي نعم.. فقالت:

– لأنني أدركت أنك إنسانة حساسة ولست من النوع الذي يثرثر ويحب إفشاء الأسرار بلا معنى.. ثم إنني أحببتك ولا أريد أن أخسرك أو أن تأخذي عني فكرة غير حقيقية بأنني متطفلة وأسعى وراء أسرار الغير.. أو أنني الريّسة وأحب فرض رأيي عليك.. قالت نادين:

– أنا أيضا ارتحت لك ويسعدني وجودك في محيطي.

تفاجأت أمل بالجملة، فضحكت بصوت عالٍ وقالت:

– سأظل في محيطك يا نادين بعيدة عن مركز دائرتك، وعلى الشكل الذي يرضيك.. رغم فارق السن والمركز.. وتأكدي أنني لن أتقدم عن النقطة التي وضعتِني بها في محيطك إلا بالقدر الذي تسمحين به.

احتضنت أمل نادين بمودَّة كعربون صداقة.. ثم بدأت أمل تحكي:

**

## (نادين)

# أمل ٢

نعم أمل هي من بدأت تحكي عن نفسها، بادئة بتوطيد العلاقة بينها وبين نادين.. قالت:

واضح أنني أكبر منك بحوالي ستَّ عشْرةَ سنة.. هي عمر ابني البكر.. اسمه أحمد.. ولد ذكي ومتفوق ويسبق سنه.. أتمنى أن يصبح طبيبا مميزا.. أنا يا نادين كنت أتوقع لنفسي وأهلي كانوا يتوقعون لي أن أدخل كلية الطب.. كنت ومجموعة من الزميلات نتنافس على التفوق ونجحنا جميعا بأعلى الدرجات.. تقدمنا كلنا بأوراقنا لمكتب التنسيق كنت أنقص عن زميلتي وصديقتي "الأنتيم" بدرجتين فقط؛ أتعرفين معنى الأنتيم؟

تبسمت نادين وقالت:

- نعم أعرف.. أكملي.

- بهاتين الدرجتين تأخرت عنهن، هن دخلن كليات الطب بفروعها والصيدلة والعلاج الطبيعي، وأنا وقفت حائرة وكما يقولون:

"لا بلح الشام ولا عنب اليمن"..

- وماذا فعلتِ؟

- نصحتني صديقتي تلك أن أدخل كلية التمريض فيكون لي علاقة بالطب الذي أحبه.. صدَّقتها وتقدمت لكلية التمريض.. وبما أنها جارتي كنت ألتقيها كثيرا وفوجئت بمعاملتها معي تتغير، بالاختصار صارت تتعالى عليَّ.. أخذتني العزة بالكرامة وقطعت علاقتي بها فورا..

رفعت نادين حاجبيها دهشة فقالت أمل:

- فعلا بدأت أنا بالابتعاد عنها.. وندمت أنني تقدمت لمجال من الممكن أن يجمعني بها.. تخرجتُ قبلها وتم تعييني بهذا المشفى التخصُّصي الشهير الذي لا يعمل به إلا المحظوظون.. فوجئت بها تعود وتتقرب إلي وتعيد الصداقة بيننا وتتهمني بأنني من أفسدت العلاقة بابتعادي عنها وهي ما كانت تريد ذلك.. صدَّقتها مرة أخرى وعادت صداقتنا قوية، عرفتْ خلالها مدى قربي من السادة الأطباء وكلمتي المسموعة في المستشفى..

ومرت الأيام وأنهت هي الامتياز وطلبت مني بحكم عملي لسنوات وقربي من السادة الأطباء ومدير المستشفى أن أتوسط لها لتعمل به.. وقد حدث..

جاءت إلى هنا هي كطبيبة مستجدة، وأنا مساعدة لها، ولكن بما لدي من خبرة أكثر منها في المجال كنت أوجهها وأنصحها؛ بل وأداري عليها الهفوات التي تقع منها بدون قصد..

تنهدت أمل وقالت:

بعد فترة، وحين تمكنت من العمل فوجئت بها تعود لتعاليها علي ومعاملتي كجارية..

صمتت أمل قليلا فقالت نادين:

– من هي تلك الطبيبة؟!!

أكملت أمل مشيرة لها أن تصبر:

– والله أنا لم أتفوه بحرف، الذي لاحظ هذا هو دكتور أسامة مدير المستشفى وصاحبها نفسه.. ناداني وسألني:

– لماذا تلك الطبيبة تعاملك بجفوة هكذا؟!!

– قلت له:

– لا أعرف؛ ربما طبعها..

حدق في وقال:

– ولكن أنت من توسط لها، فهل تعرفينها من قبل؟!!

اضطُررت لأن أحكي له.. أنها جارتنا في البيت وكانت زميلتي في المدرسة، وكنا نتنافس على التفوق.. ولكن مجموعي نقص عن مجموعها بدرجتين.

أسكتني دكتور أسامة وقال:

– لا تكملي يا أمل.. لقد فهمت كل شيء.. هذا الصنف من البشر كثير جدا.. وهذا الصنف أنا لا أحبه.

نادى عليها في حضوري.. وقال لها:

– قدمي استقالتك يا دكتورة.. أنا أجمع هنا من كل بستان أنضر زهرة.. أما الزهرة التي يؤذي شوكها زميلاتها فلا مكان لها في حديقتي..

ظنت بالطبع أنني رجوت المدير أن يرفدها؛ مما جعلها تبكي عند أمها، وأمها تعاتب أمي، لكن الحقيقة هي كما قلتها لك بالتمام.

علقت نادين بقولها:

– لا نعرف الناس إلا بالاحتكاك المباشر وقالوا بالسفر؛ ولكن الأكيد الأكيد بتبدل الحال.. والحمد لله أنه يوجد مثل دكتور أسامة ودكتور منير لكي ينعدل ميزان الحياة.

قالت أمل وهي تمثل أنها تمسك بالميكرفون:

- وسكتت شهر زاد أمل عن الكلام المباح، وكل يوم أحكي لك حكاية مثل هذه حتى يخف ميزان الحياة عن كاهلنا.

ضحكت نادين وقالت:

- ربما أستطيع يوما أن أحكي لك كل يوم حكاية.

**

# (ندوش)

## أم ولاء

خلال الشهر الكئيب لم تذهب ندوش إلى شركة عمها، ولم تردَّ على تليفون صديقتها ولاء.. حتى يئست ولاء وما عادت تتصل بها؛ ظنًّا منها أن ندوش تريد أن تبتعد عنها.. ولما حكت لوالدتها قالت لها:

– لا يصح أن نضيع صداقة السنين بسوء الظن.. اذهبي إليها واطمئني عليها بنفسك.

ذهبت ولاء إلى ندوش في بيت أمها الجديد.. فوجدتها في حال سيئة ولم تستطع أن تعرف منها سبب حزنها.

عادت ولاء لأمها بالخبر فأسرعت أم ولاء بالاتصال بعمها تسأله عنها، فقال:

– أعرف يامدام مدى حبكم لندوش.. أنتم جيران العمر وندوش تحب ولاء جدا منذ طفولتهما.. الحكاية ولن أخفي عليك.. أنه كان بالشركة موظف اسمه مصطفى قد خطبها مني.. وكنا على وشك

إعلان الخطوبة.. وفجأة الولد اختفى.. جاءه عقد عمل وسافر دون أن يخبرني أو يخبرها.. ويبدو أن ندوش كانت قد تعلقت به فحزنت كل هذا الحزن كما ترين.. والحقيقة أنني دهش من قدر اكتئابها على ذلك الولد الغادر!!

قالت أم ولاء:

– وهل ترى أن الحالة التي هي عليها من الاكتئاب المميت كل هذا لمجرد حزنها عليه.!!

– قال:

– والله ياهانم لو تعرفين شيئا قوليه لي.. قد نخرجها من حالتها.

– نعم أعرف.

انتبه العم وسألها:

– ماذا؟!

– ندوش مريضة نفسيا.. تذهب لطبيب نفسي منذ عادت لبيت أبويها.. ندوش بمشاعرها الرقيقة لم تتحمل التغيير المفاجئ الذي حدث لها.. خاصة أن أمها لم تحتضنها وتقرّبها إليها مثل كل أم.

ذهل العم وقال:

– وكيف عرفتِ؟!! أهي حكت لولاء؟

– أنا التي اكتشفت حالتها.. وأنا التي أخذتها للطبيب.. وبالمناسبة الطبيب قريبي ومتعاطف معها جدا، ويعرف أن أمرها يهمني.

– هل يمكنني معرفته، والذهاب إليه للوقوف على حالتها بالضبط؟

– نعم بكل تأكيد؛ بل هذا ما يجب فعله.

– أعطيني عنوانه ومواعيده لو سمحتِ..

**

كل الذي أضافه الطبيب أن حالتها كانت مستقرة مع قرص برشام واحد في الصباح وقرص أخر في المساء.. إلا في الفترة الأخيرة كانت حالتها تسوء رغم أنها حكت لي تطورات من شأنها مفرحة..

سأله العم:

– وكيف في رأيك يمكن أن يكون السبب؟!

– ربما هناك عنصر سلبيٌّ في حياتها لا أستطيع تحديده لأنها لم تصرح به رغم الثقة الكبيرة بيننا، شخص مثلا، وهذا الشخص يبعث لها برسائل سلبية تجعلها في حيرة من أمرها، وشك دائم، وعدم ثقة في نفسها.

لمعت في ذهن العم الصورة الغامضة فاستأذن من الطبيب على أن يعود إليه لاحقا بعدما يتأكد من شيء خطر له، ذهب العم يبحث

في أوراقه فاكتشف كم أخذ مصطفى من مكاسب وامتيازات من الشركة بتوسط ندوش له.. حتى إنه قد حصل على العقد بواسطة الشركة، وحيث إنه تمكَّن من كتابة شهادة خبره لنفسه بالأختام التي تحت يده دون الرجوع.

قال العم لنفسه:

– لقد عرفت العنصر السلبي الذي دفعتها أنا إليه بنفسي.. بالتأكيد كان يعرف مرضها ويستغلها.. الحمد لله أنه ابتعد عن طريقها الآن قبل الارتباط به.

هز رأسه أسفا وقال:

– وما خفي كان أعظم.. كأنه كان يرتب لكل شيء.. من يوم أن وضع رجله بالشركة.

اتصل بالطبيب وقال له:

– لقد عرفت العنصر السلبي الذي تبحث عنه.

– هل ستوضح لي الأمر؟

– بكل تأكيد؛ فهدفنا واحد.. إنقاذها.

**

## (نادين)

# العمل ثم العمل

اندمجت نادين في حياتها العملية.. أمضت كل يومها بالمستشفى.. تقوم بعملها وعمل زميلاتها..

كل واحدة لها بيتها وأولادها ونادين الوحيدة الخالية، لا أحد في البيت في انتظارها، ففي لمح البصر أو في أيام معدودات غاب الولد وضاع الزوج .

في العمل مندمجة مع زميلاتها.. في البيت مندمجة مع صور جمال وملاحقة أحداثه...

ورغم ذلك هي على عهدها مع أمل.. يجب أن تنسى أو تتناسى.. تسمع صوتها في كل حين تنصحها:

– لا تفكري في الماضي.. وابدئي حياتك من جديد.

تخاطب نفسها:

"وكيف تبدأ الحزينة حياة جديدة يا صديقتي..؟

فلابد من الاندماج في العمل والعمل والعمل.. لذلك لم ترفض رجاء الزميلات..

هذه ابنها مريض وتريد أن تبقى بجانبه حتى يتعافى..

– خذي يا أم جمال نبطشيتي ربنا يسعدك:

– حاضر يا عنايات.. ألف سلامة على ابنك.

هذه عندها أمها جاءت إليها من البلد لتمضي معها عدة أيام.. ولا يمكنها تركها وحدها بالبيت:

– يومان ثلاثة فقط يا أم جمال وسأعوضها لك في أقرب وقت.

– حاضر يا أنعام.. سلمي لي على أمك.

والثالثة أمل أعز صديقة لا ترفض لها طلبا.. ابنها يستعد للامتحان..

– أنت تعرفين الثانوية العامة يا حبيبتي.. ربنا يعوض عليك.

– حاضر يا أمل.. انتبهي له، وله عندي هدية كبيرة إذا تفوَّق.. ثم أنت السنيور.. رئيستنا.. أيجرؤ أحد على أن يرفض لك طلبا؟!

تضحك أمل وتقول:

– لا والله يا نادين مضطرة فعلا..

تخفض صوتها وهي تشير ناحية الممرضات الأخريات وتقول:

– لست كمن يدَّعين الظروف.

تضحك كل من نادين وأمل مع خفض صوتيهما وكل واحدة تضع يدها على فمها.

**

## (ندوش)

# رب ضارة

مر الشهر الذي كانت ندوش في كل يوم منه يزيد توتُّرها وخوفها، والأم تهب كالحريق من وقت لآخر تحثها على الذهاب إلى الشركة، ولولا المبلغ الذي تركه العم لها احتراما لحزنها على مصطفى، ما كانت لتهدأ لحظة واحدة، فهو الذي يسكتها كلما ذكَّرتها به ندوش:

– ألم يترك لك عمي راتب الشهر؟!!

المبلغ الذي تركه العم استولت عليه الأم كاملا فلم تتمكن ندوش من حجز أي جزء يساعد في مصاريف العملية، واحتارت كيف ستواجه سهير خالية الوفاض تماما بهذا الشكل..!!

لم تجرؤ ندوش أن تطلب من عمها نقودا خوفا من أن يسألها لماذا؟ فيفضحها ارتباكها.. فسلمت أمرها لربها.

وفجأة هبت العاصفة.

حدث شيء.. لم تدر إذا كان سيئا أم ساقه الله لها.. شيء ظاهره فيه العذاب وباطنه فيه الرحمة..

ففي ثورة من ثورات الأم العارمة وكان الأب يحاول تهدئتها زادت عصبيتها وثارت في وجهه قائلة:

– لم أعد أريد رؤيتك يا سبب تعاستي لا أنت ولا هي، لا أريدكما.. خذها وامشِ من هنا.

قال:

– إلى أين سنذهب؟

قالت:

– شقتك القديمة أو بيت أمك.

شعرت ندوش بالحنين عند ذكر بيتها القديم فنطقت للتوِّ:

– عندك حق يا أمي.. هيا يا أبي نذهب لبيت جدتي الذي تربيت فيه.. هو مغلق منذ أن تزوج عمي.

ساعدتهما الأم بعصبيتها في جَمْعِ حاجياتهما في حقيبتين.. حمل كل منهما حقيبته على ظهره واتجه خارجا.

في الطريق كانت ندوش تعتذر لوالدها:

– لا تغضب مني يا أبي لأنني السبب في إخراجك من البيت.

– يعني أخرجتني من الجنة يا بنتي.. ثم قربها إلى جانبه وقال:

– رب ضارة نافعة.. على العكس أنا أحمد الله أن جاءت منها.. كنت أنوي ذلك ولا أجرؤ عليه، وأقنع نفسي بأنني أصبر من أجلكم.. الآن أنا في حل أمام نفسي.

سكت قليلا وقال:

– لا تظني أنني سأرجع لها أبدا.. لقد تحررت منها ومن تسلُّطها.. وما علينا الآن سوى أن نهدأ.

**

## (نادين)

# ذو حدين

نادين تقع في حرج كثير بسبب تغيُّب زميلاتها، فإذا طلب طبيب عنايات وجد نادين، وإذا استدعى المدير أمل ذهبت له نادين، وإذا سأل مريض عن أنعام.. كانت نادين هي الحاضرة.. وهذا سلاح ذو حدَّين.. ففي البداية يؤخذ الطبيب بالمفاجأة وسرعان ما يندمج مع الواقع، المهم سير العمل.

كثر الشجار بين الأطباء والممرضات، بسبب ضياع بعض المنافع على المتغيبات منهن.

ففي حال الأخطاء ترمي كل واحدة منهن بالمسؤولية تجاه نادين محتجَّةً بعدم وجودها..

– لا تزعلي مني يا نادين.. أنا فعلا لم أكن موجودة.

ونادين لا يهمها نتيجة الخطأ بقدر ما يهمها انشغالها بالعمل.. ومن ناحية أخرى، فالذي حدث أن الأطباء والإدارة عرفوا بهمة نادين

وتفانيها في العمل، فكانت لها المكافآت والبدلات والاستدعاءات الخاصة، وتكليفها بتدريب المستجدات.

وهي أيضا لا يهمها تلك المكاسب بقدر اندماجها وسط الحركة الدائبة في المستشفى وتجدد الوجوه أمامها.

والغريب أيضا أن المريض الذي تعوَّد على تمريض أنعام أو عنايات يجد في خدمة نادين مميزات كثيرة، فسرعان ما يتمرَّد ويطلب نادين بالاسم..

خشيت الممرضات على مركزهن والمكافآت التي يحصلن عليها.. والأهم مستقبلهن المهني، فتجمعن يتناقشن في الأمر، وقررن عدم ترك مكانهن لنادين.. والزميلات اللائي كن يتمنين بالأمس أن تأخذ نادين مكانهن، صرن اليوم في حيرة من أمرهن بين ترك الخدمة لنادين، وبين ضياع حقوقهن وترقياتهن..

ولكن ما العمل وكل واحدة ذات مسؤوليات وتطرأ لها أحداث!! فقررن أن يكون الأمر متداولا بينهن فقط.

**

## (ندوش)

# ليلة العيد

وجدت ندوش في خروجها من بيت أمها فرجًا كبيرًا جاءها في الوقت المناسب.. فالأب في الصباح في عمله.. وفي المساء إما نائم أو يشاهد التلفاز.. وأحيانا ينزل إلى المقهى، فسيكون عندها الوقت الكافي لتذهب إلى الطبيب، وتعتكف في حجرتها تستعيد عافيتها وتشتت ذهنها دون عيون تراقب وأصوات تزعج.

ما زاد من بهجتها أنهما وما أن استقرَّا في البيت القديم بيت الأجداد حتى أخرج الأب حافظة نقود كبيرة، بها مبلغ كبير من المال قائلا:

– هذا المال من حقك يا ابنتي.. ادَّخرته لك طوال السنين من أجل زواجك.. خذيه واحفظيه معك لن أسألك عنه.

شاهدت ندوش بأم عينيها كيف أن الله يقف إلى جوارها.. وقد رزقها من حيث لا تحتسب.

كما أنه لم يضاعف عليها المصيبة.. فقد أصابتها دورتها الشهرية في موعدها فغسلت لها كل ما علق في رحمها من قاذورات..

والآن ليس لسهير من فضل سوى توصيلها إلى الطبيب وكتمان سرها.. ولن تكون سيفا مُصلتًا عليها بسبب المال الذي عرضت أن تقرضه لها.

**

ذهبت سهير بندوش إلى طبيب تعرفه.. طبيب لا يحترف تلك العمليات من أجل المكسب المادي، بل ليساعد فقط من تتعرض لاغتصاب أو لمؤامرة حقيرة..

فلابد له من أن يستمع لحكاية الفتاة التي في مأزق أولا ويقف على قصتها، ويتأكد بحدْسه ورؤيته وتحليله للرواية المحكية له، أنها حقيقية، ومتى تأكد من براءة البنت.. قام بالعملية...

سهير تعرف عنه ذلك، لذلك أخذت له ندوش وهي مطمئنة.. استمع الطبيب لقصة البنت التي تربت بعيدة عن أمها وعرف صدماتها المتتالية في موت جدتها ثم جدها وهي في طور التكوين النفسي، ثم شبه طردها من بيت عمها، فذهبت لأم قاسية لم تألفها.. ثم أطلعته على "روجيتات" الطبيب النفسي والأدوية التي تتناولها...

ثم حكت له قصة ذلك الموظف الذي وثق به عمها فدفعها لأن تضع فيه ثقتها حتى فعل فعلته واختفى.

تأثر الطبيب كثيرا بالقصة وتأكد من صدقها ومن براءة البنت فرضي أن يقوم بالعملية، ولكنه تساءل:

– هل أنت مخطوبة أو هناك احتمال أن تتزوجي في وقت قريب؟!

– نظرت لمدام سهير معبرة عن عدم فهمها!

قالت سهير:

– وما العمل يا دكتور؟!

قال الطبيب:

– يا ابنتي، لابد أن تتفهمي الموقف جيدا.. هذه العملية يجب أن تكون قبل الزواج بثلاثة أيام.. وهناك طريقة أخرى يمكنها أن تصبر لثلاثة أشهر، وهذا يكون باستخدام جزء من الجدار نفسه مع تغذيته الدموية.. وحسب ما فهمت من قصتك أنه لم يظهر لك العريس بعد.. فعليك أن تنتظري ثم تأتي إليَّ قبل الزفاف مباشرة..

تمسكت به البنت وقد زاد رعبها:

– من فضلك يا دكتور اعمل لي العملية.. أنا لا أفكر في الزواج.. همي فقط هو العملية.

إصرار البنت ورعبها جعلت الطبيب يوافق على إجراء العملية، وأكثر من ذلك رضي أن يأخذ نصف ثمنها فقط ونصحها أن تحتفظ بالباقي من المال لأجل زواجها، وأن هذا لابد أن يتم في أقرب وقت حتى تعتدل نفسيتها وقبل أن تفسد العملية...

أكد عليها الطبيب ناصحا كأب ألا تخبر أحدا بقصة العملية، بل عليها أن تنساها تماما.. وبقدر الإمكان ألا تتكلم عن علاجها النفسي مع أي أحد، فالناس تنتهز الفرص، وتأتي على الضعيف...

**

تمت العملية في صباح يوم كان والدها في عمله.. وخرجت من عيادته على بيت سهير، ورغم رفضها التام لهذا، لكن سهير أصرت أن تبيت عندها اليوم قائلة:

– لابد أن تستريحي يوما بعيدا عن الأعين المترقبة من أجل نفسيتك أنت.. ولا أحد سيعترض.

ومن عساه أن يعترض؛ لا والدها ولا شقيقها.. فسهير زوجة أخيها.. وقد عرفت بعد أن تزوجته كيف تستميل كل عائلته لصفها، والذي لا يميل إليها بقلبه استطاعت أن تُحيِّده.

استطاعت سهير في تلك الليلة أن تخرج ندوش من استيائها.. صنعت لها طعاما طيبا وقدمت لها العصائر والفاكهة المفرحة.. حكت لها كثيرًا من الحكايات.. وروت لها كثيرًا من النكت.. وكلما غلب على عينيها النوم توقظها وتقول لها:

- "حرام النوم في ليلة العيد."

**

## (نادين)

# تراكم الصور

خطة زميلات نادين مع بعضهن البعض لا تعنيها من قريب ولا من بعيد.. فسواء هن موجودات أو غائبات هي على رأس عملها.. فقد أدركت بالممارسة أن الحل لعلاجها وخروجها من أزمة طلاقها وفقد ابنها هو اندماجها في العمل.. فاليوم الذي ليس لها فيه عمل مع المرضى لا يستغني عنها الأطباء في مساعدتهم، سواء في العمليات أو في تجهيز احتياجاتها..

نادين التي يحبها الأطباء ويحاولون إرضاءها، فإذا أخطأ أحدهم وقال: نادين، أسرع بقوله: يا أم جمال.

وسواء ناداها نادين أو أم جمال هي متفانية في عملها.. موجودة حتى في نباطشية أيِّ زميلة غائبة أو موجودة..

فمن الممكن أن تكون الزميلة حاضرة غائبة، أو موجودة ونائمة أو موجودة وتدردش بالتليفون لتقطع ساعات الليل الطويل، ونادين هي الغادية الآتية الملبية لأي نداء أو استدعاء..

فإذا دقَّقنا الملاحظة، سنجد أنها تحوَّلت إلى مساعدة للممرضات لا زميلة لهن.. ترضى لهن بالراحة ولنفسها بالشقاء.

بل من الممكن أن تقوم بدور العاملات وتضع فرش الأسرة في "الأوتوغلاف" لتعقيمه بعد أن تغسله، ولا مانع عندها أن تمسح البلاط ولا تنادي على العاملة..

ومع كل هذا الانشغال لم يرض عقلها الباطن بالرقاد، فبين الفينة والفينة يخرج لها صورة من مخزونه في أعماقها، تراها فوق حائط أمامها، أو في وجه طفل حديث الولادة، أو في بكاء أم داخلة إلى غرفة العمليات.. وبتراكم الصور بدأت نادين تدخل في مرحلة جديدة غير صحية..

بدأت تتخيل أن كل رجل يأتي إلى المستشفى لأي سبب كان يغازلها.. وكل طبيب يجاملها بكلمة فهو يطلب ودَّها.. وأن كل مريض يفكِّر فيها ويعدها بطلب يدها..

وهي لا تتجاوب مع كل هؤلاء المتهافتين عليها لأنها كثيرًا ما تتخيَّل أن مطلِّقها يأتي لها يستعطفها ويعبِّر عن ندمه..

**

# (ندوش)

## إلهامي

منذ أن عرف العم أن البنت التي ربَّاها وكان لها أبا وأما، البنت التي عاش معها أكثر مما عاشت مع أمها.. تمرض نفسيا بسببه.. نعم بسببه فهو الذي أهدر حقها ومكانتها أمام زوجته، وسمح نزولا على رغبتها أن تخرج من بيتها الذي تربت فيه، ويحنث بالوعد الذي قطعه على نفسه أمام أمه وهي على فراش الموت فقد أوصته ألا يتخلى عن ندوش حتى يخرجها من هذا البيت عروسًا إلى بيت زوجها، ثم قالت متحسرة:

– كنت أتمنى أن ألبسك الطرحة بيدي لكني تخليت عنك.

وقد أعاد عليه والده الوصية.

نسي كل هذا فكان عقابه ألا تخبره بمرضها وعرفه كل من مصطفى وولاء وأم ولاء!!

مصطفى الذي سلمها له مريضة ليتلاعب بها ويزيد مرضها سوءا..

وبماذا كانت تخبره تلك البنت الصابرة؟!! أكانت تقول له:

"بأنك يا عمي سبب مرضي وحيرتي".

والغريب أن الزوجة التي حقق لها رغبتها لم تعش في بيته بعدها طويلا.. فيبدو أنها كانت من هواة المشكلات والسعي وراء النكد.. وكانت ندوش في البداية تستحوز على جل اهتمامها، ممتصة كل صدماتها فكانت شغلها الشاغل..

وبعد أن خرجت ندوش وتركت لها مملكتها لم تجد من تنفث فيه سُمَّها غير زوجها نفسه.. شكوى دائمة من تأخُّره.. شكوى دائمة من إهماله لها.. شكوى دائمة من عدم معاملتها بالدلال الذي كان يعامل به ندوش.. ثم شكوى دائمة من الجيران الذين لا يودُّون رؤيتها أسفا على ندوش.. وخصوصا أم ولاء التي تقابلها بازدراء وكأنها أجرمت في حقها.. وهذا كله بالطبع من أجل ندوش حبيبة السكان كلهم.. حتى أنها أصرت على الانتقال من هذا البيت الكئيب إلى أي مكان آخر.. صاحت:

- أي مكان آخر ليس فيه ندوش وجيرانها.

ولما كان العم نفسه يشعر بالفراغ الذي تركته ندوش، وافقها على الانتقال إلى شقة أخرى؛ ظنًّا أن في هذا راحة للجميع.

وليته كان..

لم تهدأ الزوجة بعد؛ بل كانت لها في كل يوم حكاية..كانت تفتش في رأسه كما كانت تفتش في تليفونه وحافظة نقوده، وكلما وجدته قد اتصل بندوش يجن جنونها، ولما عرفت أنه عيَّنها مديرة لشركته زاد غلها وصرخت في وجهه:

– أكانت ابنة أخيك.. أم عشيقتك؟!!

وكما خرجت نادين من البيت بسبب الزوجة المتسلطة، خرجت الزوجة الكئيبة بسبب ندوش الحاضرة الغائبة.

لم يتحمل الرجل جرأتها وجهرها بالسوء، وتوقع مزيدا من الصفاقة إذا تغاضى، فسألها سؤالا غريبا:

– هل أنت حامل؟

قالت:

–لا.!!

قال:

– إذن أنت طالق.

**

# (ندوش)

## ذكريات

اليوم التالي تعافت ندوش وتحسَّنت معنوياتها باطمئنانها من هذه الناحية التي استحوزت على نفسها.. فاستقبلت اليوم الجديد بنفس راضية.. حامدة الله أن ساق لها ذلك الطبيب الذي في ساعة واحدة صار لها مثل الأب والناصح الأمين.. والذي أخبرها أنه بتحسن نفسيتها سوف بإذن الله تستغني عن العلاج النفساني.

ذهبت إلى والدها في بيت جدتها بعافية لم تصادفها من سنوات.. متفائلة بصورة لم تألفها في نفسها..

تحدثت مع والدها بانشراح وسعادة وقالت له:

- لقد جهزت لك مفاجأة جميلة.

تشوَّق الأب لمعرفة المفاجأة.. فإذا بها تحضر له غداء مميزًا صنعته بنفسها.

كان يأكل ويتلذذ بالطعام فإذا به يقول:

– أليس كل هذا الطعام من نقود جهازك؟!! لا تستمرِّي في هذا.. نريد أن نفرح بك.

وبينما هم على هذا الحال من المرح والسعادة سمعا جرس باب الشقة يرن ثم نقرة معينة تعرفها من قبلُ فصاحت:

– عمي إلهامي.

يدخل العم ليزيد الموقف سرورا، والسعادة بهجة، خاصة أنه أول ما دخل قال:

– بسم الله ما شاء الله.. وجهك منور..

جرت عليه ندوش وتعلقت به بينما قال الأب:

– تعال تعال.. حماتك تحبك.. كل هذا الأكل طبخته ندوش.. مد يدك وتذوَّق أحلى طعام.

جلس العم وبدأ في الأكل معهما.. وقال:

– أعرف أكل ندوش لما تكون مبسوطة.. الحمد لله أنك بخير حبيبتي.. هيا يا جميلة الآنسات الشركة في انتظارك.

تقطب جبينها وقالت:

– اعفني يا عمي لا أستطيع رؤية المكتب.

– لهذه الدرجة أثَّر فيك هذا الولد الخائن.

قالت في نفسها:

"نعم.. خائن.. خائن"

أكمل العم:

– والحل.. أنت لابد أن تشتغلي..

– سأبحث عن عمل أخر.

– أنت معهد سكرتارية.. وأنا لا أطمئن عليك في عمل كهذا..

ثم أيرضيك ابنة إلهامي بك تعمل أي شيء عند أي أحد.. اعرفي قدرك وقدر عمك يا ندوش.

– هذه راحتي يا عمي من فضلك.

– يا حبيبتي أنا مستعد أن أغير لك ديكور الشركة بالكامل حتى تشعري أنها غيرها.

– أرجوك يا عمي اتركني على راحتي.

اتجه إلى الأب يخاطبه:

– تكلَّم يا أباها.. أليس لك كلمة على هذه البنت العنيد؟

ضحك الأب وقال:

– أنت أبوها لا أنا.

هز رأسه أسفا.. ونهض مسرعا ليغسل يده وربما ليمسح دمعة.. ثم عاد ليكمل حواره:

– نعم أنا أبوها.. تسلمتها بنت سنتين.. أنا من حملها ولاعبها.. كنت أقذفها في الهواء وألتقطها وهي تضحك وتضحك بينما أمي تشهق خوفا عليها.. ركعت لها على أربع وركبت فوق ظهري تسوقني كالـ... أنا من كبرت على يديه وبين أحضانه، وعلى حكاياته.. كنت أخاف عليها من الهواء فأغلفها بالسوليفان..

أمسك يدها وأعبر بها الطريق لأوصلها إلى المدرسة وقبل خروجها كنت أنتظرها لنعود معا محملين بالشيكولاتة وأكياس الحلوى..

وكلما كبرت كنا نبدلهما بأشياء أخرى تناسب سنها..

أنت لم تشاهد تلك المراحل يا من أنجبتها..

لم ترها وهي ذاهبة إلى المدرسة أول يوم، واحتفالنا بها في نهاية الشهادة الابتدائية والإعدادية.. كانت متفوقة وذكية ونموذجا للبنت المثالية.

أجلستها بجانبي وأنا أذاكر فكنت أشرح لها الدرس..

اشتريت لها الشيكولاتة طفلة، والفيونكة صبية، والفستان بنوتة..

وكبرت أمام عيني، رأيتها شابة حسناء شعلة نشاط لا تعرف اليأس، مهما كلفتها بعمل تنجزه، وإذا قلت لها لا تستطيعين فعل هذا تلقي في وجهي جملة من شاعرها المفضل جلال الدين الرومي:

"وضع الله أمامنا سلما علينا أن نتسلقة درجة إثر درجة لديك قدمان فلم التظاهر بالعرج؟!"

أخذتها معي في مناسبات كثيرة رغم معارضة أمي لخوفها عليها..

علَّمتها الحياة ومنحتها الحرية لتعتمد على نفسها.

ثم صمت قليلا يستجمع نفسه وقال:

"لكن يبدو أنني لم أعلِّمها الحذر من البشر.

لم أعلِّمها تجنُّب مكرهم وألاعيبهم.. فهذا الشيء لست خبيرا فيه..

ما تربيت إلا على الصدق، فظننت الناس كلهم صادقين..

مسح على رأسها وقال:

لا تحزني يا حبيبتي.. أعلم أنه جرحك جرحا كبيرا بقلة وفائه..

قالت في نفسها:

"وأكثر من الجرح لو تعلم."

ثم قال:

– وأنا أيضا أخطأت في حقك ولن أقول: أجرمت؛ لأنني ما قصدت الشر.. سامحيني.

أخرج العم نقودا وضعها أمامها وقبَّل رأسها وذهب.

**

## (نادين)

# نأخذ بثأره

دخلت نادين في مشكلة جديدة بسبب اللقب الذي صارت تنادى به "أم جمال".. خصوصًا مع المرضى وأهليهم وهم كثيرون، ومن كل حدب وصوب.. ناس تروح وناس تجيء.. فمن يُقسم عليها بابنها جمال أن تعطيه الحقنة بنفسها.

ومن يدعو لابنها بالبقاء والعافية بسبب خدمتها الجيدة له.

ومن يعطيها نقودا من أجل جمال مؤَكِّدًا عليها أن تشتريَ له حلوى وهي عائدة.

كل هذا كان يضغط على أعصابها ولا سبيل للتراجع، فالاسم الذي ظنت أنه سيكون سلوتها صار تنغيصا دائما لها.

والأغرب أن أحدهم اتصل بها ولَمَّا قالوا له: إن اسمها أم جمال.. أغلق الخط، ولم تعرف من هو، وفي أي أمر كان يريد.

شعرت أمل بما تعانيه صديقتها فقالت لها:

- أعرف أنك في دوَّامة..

ردت نادين على الفور:

– نعم.. في دوَّامة كبيرة.. فحتى الآن.. لم يعترف المجرم بجريمته.. ويلقي بها على غيره.. والمصيبة هو الذي سيحاكمهم.

– من الذي لم يعترف بجريمته؟!

– الذي قتل جمال.

– هل تقابلت مع زوجك السابق؟!

– لا.

– ومن تقصدين بالذي لم يعترف بجريمته.

– ألا تتابعين الأخبار؟!!

– الأخبار!!.. أما زلت أنت تتابعين الأخبار؟!!

– ولم لا.. ألا يهمك أن يأخذ ابني بثاره؟!

تنهَّدت أمل وانصرفت من أمامها.. لكنها عادت لتقول:

– يهمني بالطبع أن يأخذ بثأره وأن نأخذ جميعا بثأرنا.. أنا أتابع الأخبار، واطمئني.. تركيا لن تترك الموضوع وهي من ستحاكم الجناة، وها هي تجمع الرأي العام لتدويل القضية.

**

## (ندوش)

# تجد عملا

فكرت ندوش في كلام عمها بأنه لا يطمئن عليها مع غيره.. فخطر ببالها الطبيب الذي أجرى لها العملية.. كم هو عطوف وأمين ومثل الوالد.

لم تتردد وذهبت إليه.. عرضت عليه حوارها مع عمها وطلبت منه أن يجد لها عملا مضمونا آمن العواقب.

قال لها:

– كنت بالفعل أبحث عن فتاة تستقبل الزبائن في غياب البنت التي عندي.. ما رأيك؟ أيناسبك هذا العمل؟

قالت:

– تفعل ذلك من أجلي يا دكتور.. لا أريد أن أكون عبئًا عليك وعلى العيادة، ونؤذي البنت التي عندك.

– لستِ عبئًا.. قلت لك: "كنت أبحث.

– وإذا عادت البنت ماذا سأفعل؟!

– لا شيء، ستعملان كلاكما.

قالت:

– وماذا نفعل نحن الاثنتان.. أواحدة لاستقبال النساء وواحدة لاستقبال الرجال؟!

ضحك الطبيب وقال:

– خفة دم وحضور أيضا!!.. لا.. ليس هذا.. هي أحيانا تدخل مع المريض لتجهزه لي أو لتعطيه الحقنة، فتكون العيادة بالخارج بلا أحد.. أنتما الاثنتان ستديران العمل بشكل أفضل.. تتبادلان المواقع.. واحدة معي وواحدة مع الزبائن.. تفضَّلي اقعدي في مكان استقبال الزبائن.. ولا تصدِّعي رأسي.

أثبتت ندوش مهارة في عملها.. روح جميلة في استقبال الزبائن وكيف تمتصُّ غضب الغاضب لتأخُّره في الدخول للطبيب، والذي يظن أن أحدًا قد أخذ دوره تقنعه بالأسباب..

صنعت ألفة كبيرة بينها وبين زميلتها فلم يحدث أي صدام بينهما؛ مما أسعد الطبيب وسار عمله في تناغم مستمر..

أثبتت ندوش مهارة كبيرة في تجهيز المريض وامتصاص توتُّره، وطمأنته بأن الطبيب يذكر اسم الله قبل أن يضع يده علي المريض وهذا وحده يخفِّف الألم..

في سرعة فائقة تعلَّمت ندوش ضرب الحقنة في العضل ثم سعت بنفسها لتتعلَّم كيفية سحب عيِّنة الدم من الوريد بعد أن عرفت الفرق بينه وبين الشريان.

والأكثر من ذلك أنها عثرت في مكتبة الطبيب على كتاب عن فن التمريض.. فكانت كمن عثر على كنز، في كلِّ يوم تذهب إلى العيادة مبكِّرةً قبل موعدها وتمضي بعض الوقت في قراءة الكتاب..

ولما فعلت شيئا معيَّنًا وهي تجهِّز المريض ونطقت اسم بعض الأدوات التي يستعملها الطبيب مثل (الجَوِن وبعض الآلات) لفت انتباه الطبيب ذلك، اندهش وسألها:

- كيف عرفت تلك الاسماء؟!

قالت:

- وأعرف استعمالاتها أيضا.. من هذا الكتاب.

- وكيف استوعبت هذا في هذه المدة القصيرة؟!!

قالت:

– قال أخونا خلال الدين الرومي: "عندما تقرر أن تبدأ الرحلة سيظهر الطريق!!"[1]

فرح الطبيب بمهارة ندوش، وحسن ردها فصار لا يبخل عليها بالمعلومات ويعلِّمها أشياء في أصول المهنة تكتسبها بسرعة وتلقنها زميلتها، ثم قال لها:

– أنا أَعُدُّك لأمر ما في رأسي.. في وقت قريب.

وحان الوقت.. أخذها الطبيب إلى المستشفى الاستثماري التي يعمل بها في الصباح.. قدمها للمدير وهو يقول:

– رغم أنها لم تتخرج في مدرسة التمريض، فإنني أتحدَّى بها أي ممرضة هنا مع خبرة السنين..

فلما اندهش المدير من كلامه.. سأله:

– وما الميزة التي تتحدى بها؟!

قال:

– هي تعلم تماما أن مهنة الممرضة قبل أخذ العينة، والتغيير على الجرح أنها ملاك الرحمة.

قال المدير:

– نحن نثق بك يا الدكتور منير.. ونفتقد ملائكة الرحمة بالفعل، ودون اختبار سنكتب لها عقدا.. وإذا أثبتت كفاءتها عيَّناها، وأخذت مكانها الذي يليق بها، وهذا عقد العمل...

أخرج مدير المستشفى من درج مكتبه عقد عمل.. وسألها:

– ما اسمك يا أنسة؟

– ندوش.

نظر إليها مندهشا، وقال:

– ندوش اسمك في شهادة الميلاد؟!!

قالت:

– لا يا دكتور.. اسمي نادين.

**

(....)

# لحظة صدق

عملت نادين بالمستشفى الاستثماري مستشفى دكتور أسامة مع دكتور منير وفي كل يوم تكتسب خبرات جديدة وقربا ممن تتعامل معهم.. شهران كانا بالنسبة لها عمرا جديدا وحياة أفضل.. ومكسبا جيدا.

اتصلت بها أمها لتزف لها بشرى سعيدة:

– ندوش حبيبتي.. لقد أتيت لك بعريس لُقطة.. معقبة:

– لكي تعرفي أننا لسنا طامعين بك، ونفكر في مصلحتك.. تعالي غدا هو سيأتي لترَيْهِ ويراك..

توقعت ندوش أن تكون الأم قد جلبت لها عريسا أخنى عليه الدهر.. رجلا كبيرا أرملا أو مطلّقا، مريضا كسيحا ويحتاج لممرضة بالمجان. فكرت في هذه الحالة ماذا تفعل؟!

أسرعت نادين إلى والدها تستشيره وتخبره بوساوسها..

فقال لها:

– لا تتزوجي إلا بقلبك.. لا تكرّري أخطاء أناس كثيرين ومنهم أمك.. تعرفي يا ندوش رغم أنني غاضب منها ولم أشعر معها بسعادة يوما، إلا أنني كثيرا ما أعذِرها.

– كيف يا أبي؟!! لم أفهم.

– أمك يا بنتي تزوجت رغما عنها.. لم أكن أنا الشخص الذي تحلم به، وفرضتُ عليها عيشة صعبة من التقشُّف وأذقتُها شظف العيش ليس عن عمد ولكن ضيق ذات اليد.. ورغم ذلك لم أُنصِفْها.. لم أقف بجانبها وأمي تنتزع منها ابنتها وهي تصرخ من أجلك ولا تريد أن تفرِّط بك.. أخذتك منها وأعطيتك لأمي.. وفي كل مرة كنت أراها وأمي تتشاجران، كنت آخذ صف أمي ضدَّها، وكان يحدث ذلك كلما ذهبت أمك لرؤيتك وأخذك في حِضنها..

كم كانت تشتاق إليك يا ابنتي.. وتحلم بك.. وتبكي عليك.. حتى أنجبت سامي شقيقك تلهَّت فيه بعض الوقت، ولما جاءت شيرين عقبه مباشرة تلهت بها كل الوقت.. هي أم مهما كان.

وكنت أراها تتعذب ولا أحرك ساكنا، وأنتظر الأيام فهي التي تدوي الآلام وتنسيها.. حتى إن أمي مرة اتهمتها بالسرقة.

فغرت البنت فاها.. فأكمل:

– أفهم جيدا أنها فعلت ذلك لكيلا تجعلها تأتي لبيتها "تقطع رجلها كما يقولون".. وحتى في هذه لم أنصفها وحقَّقت لأمي رغبتها ولم أتركها تذهب إليك بمفردها.

يا ابنتي الظروف هي التي تشكل الإنسان.. فتجعله حَمَلاً وديعا أو وحشًا كاسرا.. وما قسوتها عليك إلا كنوع من الدفاع عن النفس.. ترى أنها في الماضي كانت عاجزة واليوم قادرة..

أمك يا ندوش تعذبت كثيرا يكفي أنها كرهتني واستمرت معي من أجل أولادها، ليتك تَعذِرينها كما أنا أعذرها، وتسامحينها وتسامحيني أنا أيضًا.

أجلت نادين بداخلها كل ما قاله الاب، فليس وقته أن يزيد حيرتها، وتذكَّرت فقط جملة "لا تتزوجي إلا بقلبك".. ورنَّ في أذنها كلام الطبيب بعد أن أجرى لها العملية:

"كان يجب أن ننتظر لقرب زواجك.. لكن أنت لا تصبرين.. إذن، وافقي على أول عريس، فلابد ألا يمر وقت طويل على العملية.. كما أوصاها بعدم كشف سرها مهما كان.

وقد مر الآن أربعة أشهر، شهران في عيادة دكتور منير وشهران في المستشفى، فما العمل؟!

أسرعت إلي دكتور منير تخبره بما حدث وأنها لم تر العريس بعد ولكن الشكوك تملؤها ولا تتوقع خيرا يأتي من ناحية أمها.

قال دكتور منير في كلمات قاطعة حازمة:

– أيًّا كان.. لابد أن تتزوجي بسرعة.. وإلا لو تأخرت أكثر سنضطر لإجراء ذات العملية قبيل الزواج.

– إذن لا مفرَّ من قبول الأمر الواقع.

**

(....)

## عريس الهنا

ذهبت نادين إلى بيت أمها منذ الصباح واندهشت أن رأت سهير عندها تساعدها في ترتيب البيت وتجهيز واجب الضيافة للعريس وأهله الذين سيأتون ليلا..

زال عجبها لما عرفت أن العريس جاء من طرف سهير، فسألتها في الخفاء:

– ما شكله يا أبلة؟

– قمر يا ندوش، وشاب طيب وابن حلال ويريد أن يعيش.. ويعمل بالمحاماة وله مكتب، واسمه فوزي.

في المساء جاء العريس وأمه، فلما رأته نادين وقع في قلبها على الفور.. ولما تكلم وسمعت أذنها بحة صوته أحس نبضها بعزف الحياة..وقالت في نفسها: "لقد فزت أنا به؛ فهو عريس الهنا."

وهو أيضا رضي بها.

جاء والد نادين أيضا ليحضر اللقاء الذي كان ينتظره ويتمناه.
عرفوا خلال الجلسة أن والده مات وهو صغير وأمه هي التي ربّته لذلك هو يدين لها بالفضل.. ثم سأل نادين:
– أتقبلين أن تعيشي في بيت أمي؟
هزت رأسها بالموافقة.
تبسم وقال:
– وليتك تتركين عملك أيضا.. أنا إن شاء الله أوفر لك حياة كريمة.
رجته أن يتركها تعمل لفترة ما في المستشفى الذي تعمل به لأنها أحبَّت مهنة التمريض... كما أحبَّت زميلاتها والأطباء يعاملونها بود واحترام وطيبة، خاصة الدكتور منير.

وافق فوزي أن تظل في العمل مؤقَّتًا حتى يمن الله عليهما بأول مولود، فعندها يجب أن تترك عملها وتتفرغ لبيتها وابنها.. فهو العمل الأهم.
قالت:
– سأفعل إن شاء الله.
قال:
– أتدرين لماذا وافقت لك؟

- لماذا؟!

- لأنك طيبة ووافقت على الفور أن تعيشي مع أمي.

تنهدت وقالت:

- لأنني بحاجة إلى أم.

**

(....)

# وتم الزفاف

هو أيضا اطَّلع على جانب من حياتها خلال الفترة القصيرة التي يستعدان فيها للزفاف، والتي اعتبرتها فترة خطوبة يكتمل فيها التعارف.

وتم الزفاف بالسرعة المطلوبة.. تجهزت بما معها من نقود والدها وراتبها، ثم بدعم كبير من عمها، ليس المادي فقط، بل والزمني أيضا دون أن يقصد..

فقد طلب من فوزي سرعة إتمام الزواج لكي يفرح بابنته قبل سفره إلى السعودية.

قال فوزي:

– أنا متعجل أكثر منك.. وما دام البيت موجودًا فأي شيء بعده سهل.

حضر العم الزفاف وأوصى بها زوجها قائلا له:

ابنتي مثال للطيبة والأثرة.. كل من حولها يعمل لصالحه على حسابها، إلا هي تعمل لصالح الجميع على حساب نفسها.. معك جوهرة لا تفرط بها.

– في عيني يا عمي.. وأطمئنك أنا أعرف صفاتها جيدا.. وأمي ستكون لها أمًّا ثانية.

ضحك العم وقال:

– نريدها أمًّا أولى.

جاءها عمها في الصباح ليطمئن عليها ويخبرها بسفره خلال شهر أو شهرين وطلب منها أن تدعو له بالتوفيق، كما دعا لها بالتوفيق والسعادة.. قائلا:

– أنت الآن في الأمان.. املائي حياتك الجديدة بالسعادة لتصفو لك الحياة وتنعمين بمحبة زوجك.

قالت:

– أنت يا عمي مثال للطيبة، وأنت جميع أهلي، وسندي وفخري فلا تنسني في زحمة الحياة.

ضحك وقال:

"كيف أنساها وقلبي لم يزل يسكن جنبي.. إنها قصة حبي."
علت ضحكته وقال مع الاعتذار لعبد الحليم حافظ.
قالت له:
– هذه أم كلثوم يا عمي.
– لا يا شيخة.. وعبد الحليم أيضا غناها.. أتعرفين أنت أحسن مني!!
**

مر على نادين وفوزي شهر الهناء والعسل وهما يعبَّان منه الرحيق، ويوزعان فيه الورود.. وفي كل شهر بعده تزداد سعادتهما معا، وكلما زادت سعادتها تتوجه بالدعاء في سرها لسهير.. فهي المنقذ لها في كل حال.. مؤنبة نفسها:
"كيف أخطأت في عدم تقديرها من البداية، وها هي الأيام والظروف تثبت كم هي إنسانة بمعنى الكلمة، وأنها قدم الخير على الجميع.. وعليها على الخصوص.
**

(....)

## القادم أسود

توطَّدت علاقة نادين بزوجها، وزادت محبَّته في قلبها.. وكذلك فعلت حسن العشرة بينهما إلى أن تمكَّن حبُّها في قلب زوجها وأمِّه، وانعكس ذلك على عملها بالمستشفى وعلاقتها بزميلاتها.. وكان عمها يؤجل سفره شهرا وراء شهر ويزورها من آن لآخر يطمئن عليها وكان يسألها مباشرة عن أحوالها وعلاقتها بزوجها، فتخبره أن الله عوضها بسعادة لا سبيل لإنكارها.. فيقول لها:

– لقد أثلجت صدري يا ندوش.

هذه المرة سألها صراحة:

– لك ستة أشهر في النعيم.. ألم تظهر بشائر في الطريق.

خجلت نادين وقالت:

– ربما يا عمي فلم أتأكد بعد.

فوجئت بعمها يزغرد لها ويأخذها في حضنه.

ثم قال لها:

– أخير حان الوقت لسفري.. أوصيك بنفسك وبزوجك يا ندوش.

ضحكت وقالت:

– وبأمه أيضا فلا تقلق.

**

طار العم ولم يدم الحال طويلا، فهو من المحال.. اتصلت بها أمها صباح يوم يحمل شبورة مائية كثيفة.. مستنجدة:

– نادين أرجوك عقِّلي أخاك، أفهميه أن يصبر حتى يتخرَّج.. لماذا يقلب على امرأته من الآن؟!

اعتبرت نادين أن هذا الانقلاب في حياة أخيها نظير شؤم على الجميع.. وما باليد حيلة، لابد أن تتقابل أولا مع سهير وتسألها: ماذا حدث.؟ فتفاجأ بردها:

– "أخوك ننوس أمه عامل دكر علي...."

– كيف يا أبلة؟!!

– سبحان الله! الآن يغار عليَّ، يغار من وقفتي في البوتيك.. يريدني أن أبقى في البيت جارية له وهو يرعى المحل.

– وكليته .. ماذا يفعل فيها؟!

– اسأليه..

ثم استشاطت غضبا وقالت:

– قسمًا بالله إن لم ينعدل لأدمِّرنَّه.

خشيتها نادين.. فهي تعلم أنها قادرة ولا تتورع.

**

أسرعت إلى شقيقها:

– ماذا حدث يا أخي.؟

– من الرجل؟! أنا أم هي؟! الهانم تعطيني مصروفي كالتلميذ..

– أنت فعلا تلميذ.. وهذا ليس جديدا.. وتزوجتَها من أجل ذلك!!

– ثم إنها تضحك مع الزبائن وتمازح الرجال.

– تغار عليها إذن!!.. هل أحببتها؟!

– وحلَّالة عقد النساء.. تزوِّج وتطلِّق وتصالح وكأنها شيخة العرب..

– أكثر الله خيرها.. أليست هي من زوَّجت أختك.. ثم إن هذا ليس جديدا عليك.

– دمي لا يتحمَّل.. اقنعيها تبقى بالبيت وتترك لي المحل.

– وكليتك يا سامي؟!!

– إذا استدعى الأمر.. أتركها.

– تترك كلية الهندسة بعد ثلاث سنوات!!

– يتبقى عامان كاملان..

– عامان فقط يا سامي.

– تعرفين يا نادين، أنا في هذين العامين يمكن أن أصبح مليونيرا من هذا البوتيك.

– لكنها لم تصبح مليونيرة منه.

– هي لا تعرف ما يمكن عمله.. أنا لي أسلوبي.

– صدق من قال حبك للشيء يعمي ويضل.. ومع ذلك فالبوتيك معك.. ماذا ينقصك؟!

– ينقصني كياني..

– إذا تركت كليتك.. أمك تموت فيها.

– ما لها أمي وحياتي؟!

– أمك هي من تخطِّط معك.. أليست من شجَّعتك من البداية على استغلالها.. وها أنت الآن تريد أن تنهبها كاملة.

– الحياة فرص يا ندوش..

– خذها نصيحة مني يا أخي، لا تكن "كدَبُّور زَنَّ على خراب عُشِّه.." إما أن تصبر كما تقول أمك حتى تتخرَّج وتستطيع أن تقيم أمورك.. أو تطلِّقها من الآن باتفاق "جنتل مان".

– لا، دعيني.. أنا أعرف نقطة ضعفها.

– لها نقطة ضعف ولك مئآت النقط.

لم تستطع نادين فعل شيء أمام الغدر والطمع اللذين رأتهما في عيني أخيها.. قالت في نفسها:

– يبدو أن الرجل إذا سيطر على رأسه أمر ألغى عقله.

عادت إلى سهير تطيب خاطرها.. وتقول لها:

– لا أستطيع نصحك أنت أقدر مني على ذلك.. تعرفين كيف تروّضيه وتزيلين الشكَّ من قلبه.

ضحكت وقالت:

– الشك في أنا!!.. هذه حجَّتُه؛ لكن أنا أعرف ما يفكِّر فيه جيّدًا.. لست طفلة...

مشت نادين من عندها وهي خائفة ومتوقعة الخطر...

قالت لنفسها: القادم أسود.

**

(....)

## سامي

كان سامي في كل يوم يذهب فيه إلى كليته يلبس طقما جديدا من البوتيك كنوع من الدعاية.. فيراه الزملاء يسألون:

– من أين يا سامي تلك الشياكة؟

فيدلُّهم على البوتيك.. مقدما نفسه على أنه صاحبه، فزاد الرواج به.

في الوقت نفسه أصبح سامي أشيك طالب في كلية الهندسة وأخذ اللقب عن جدارة، فكانت الفتيات تتهافت عليه يتمنين القرب منه من ناحية، ومن ناحية أخرى يسألنه إذا كان بذلك البوتيك موديلات حديثة لهن فيجيبهن بالإيجاب أيضا.

كما بدا سامي وكأنه أغنى طالب بالكلية، خاصة أنه يذهب بسيارة فاخرة بسائقها.. أرادت سهير المبالغة في إظهاره بهذه الأبهة عن قصد، وذلك لتكبيله أكثر فلا يفكر في الغدر بها حتى لا يخسر كل هذا النعيم..

ولكن حدث الشيء الذي يحدث فجأة ورغم إرادة الجميع.. ورغم إرادة سامي نفسه..

وقع سامي في حب علياء زميلته ابنة الأكابر.. وعلياء هذه يتقدم لها العرسان من الآن ووالداها لا يمانعان بتزويجها وهي بالكلية.. فماذا يفعل سامي وهو المتيَّم بالبنت وهي تبادله الشعور نفسه، وتطلب منه أن يتقدم لأهلها ويعطيهما وعدا بإتمام الزواج بعد التخرج..

انحسر تفكير سامي فيما يجب فعله للوصول إلى علياء من أقصر طريق..

لو ترك سهير الآن سيعود معدما ولا يستطيع التقدم لأهل علياء..

ولو انتظر حتى يتخرج ستضيع منه البنت التي خفق لها قلبه.. لكنه لو نحَّى سهير جانبا وكان له حرية التصرُّف في البوتيك، عندئذ يستطيع منه خلال شهور أن يكون له بوتيك مثله، فقد عرف كل أسراره وكيفية البيع والشراء والتعاملات والأماكن التي يجلب منها البضاعة.. فيمكنه أن يكون صاحب بوتيك مثله لو كان معه رأس المال..

ورأس المال المطلوب كثير جدا، والوقت أمامه قليل جدا، فلابد من سرعة التصرف وسباق الزمن..

فكانت فكرته التي رآها عبقرية وناجعة وتؤتي ثمارها في القريب العاجل.. ولكن بأي حجة يمكنه أن يبعد يد سهير عن المحل وتترك له الأمر والنهي؟..

لا سبيل إلا بادِّعاء الغَيرة عليها من تعاملها مع الرجال.. وأي امرأة يسعدها أن يغار عليها زوجها..

تخيل أن سهير ستتخلى له على الفور بسبب حبها له.. ولكن "تجري الرياح بما لا تشتهي السفن".

سهير ابنة السوق التي صعدت السُّلَّم من أوله لن تسلم له بسهولة.. خاصة وأنها تدرك نيته ونية أمه منذ أن تزوجته.

**

(....)

## (المفاجأة)

لم يكن العم مسافرا إلى السعودية كما قال للجميع بل ذاهب للبحث عن الولد الغادر الذي كسر قلب البنت وخان ثقته.. ذهب ليفسد عليه حياته كما تسبب في كل المشكلات النفسية له ولندوش الطيبة..

كان العم منذ مدة طويلة أو قل: منذ عرف بمأساة ندوش يخطط ويرتب أوراقه.. وعقد علاقات مع شركات هندسة بدولة دبي.. خاصة الشركة التي يعمل بها مصطفى.. فقد عرف عنوانها من أمه، فالبدية كانت من عند أمه.. ذهب إليها إلهامي بك، قابلته بالترحاب.. فهي تعرف أنه ولي نعمة ابنها، سألها عن عنوانه فأسرعت وأتت له بخطابه الذي به العنوان..

قال لها:

- أنا ذاهب إليه.. لا تخبريه حتى تكون مفاجأة.

كل هذا ولم يعلم أنه فعل مصيبة أكبر وهي ما تستحق العقاب بالفعل..

ولكن فور أن علم بأن ندوش تعالج نفسيا وأن ذلك الولد استغلها لمطامعه قرر ألا يتركه ينعم حيث هو، ويعود غانما..

قبل أن يسافر أرسل إلى أصدقائه هناك بأنه يريد أن يتعاون مع شركة العريفي في بناء ناطحة في دبي تتحاكى عنها الدول.

ولما أعلموه أنهم مهدوا له الطريق وأن مدير الشركة يرحب وينتظره سارع بالرحيل إليه.. سافر العم إلى دبي ورأسا إلى الدائرة التي يعمل بها مصطفى.. قابل المدير وتكلم معه بخصوص التعاون والمشاركة، وعرض عليه النموذج الذي يجب تنفيذه.

لما شاهده مصطفى مع مديره سُقط في يده.

وما أن رآه إلهامي حتى حيَّاه وهمس في أذنه:

- جئت خصيصا من أجلك.

**

(....)

## سامي ٢

جلست سهير مع سامي وقالت له:

– استهدِ بالله يا بْن الحلال.. ودعنا نعيش كما كنا.

– قال لا.. لست ابنك حتى تمارسي عليَّ دور الأم.. ولست قوَّادًا حتى أراك تمازحين الرجال وأسكت.

– إذًا؛ طلِّقني وترتاح من دور الأم، ودور القوَّاد.

– ليس بهذه السهولة؟!

– الموضع به مساومة إذًا؟ هيا اطلب الثمن.

– مائة ألف.

ضحكت حتى كادت تنقلب على ظهرها.. ضحكتها تحمل معاني الدهشة والغيظ ثم قالت متهكمة:

– جنيه أم دولار.. أم تقصد باليورو..

ثم هدأت وقالت:

– هذه نيتك فعلا وأنا أعرفها.. أتظن أنني أسلِّم لك شقى عمري بهذه السهولة.. ومن أجل ماذا؟! أن تطلِّقني!!

– هذا كل ما عندي.. فكِّري.. إما أن تبقي بالبيت وأنا أدير المحل، وإما مائة ألف وأطلقك.

قالت سهير:

– لو أراد الله أن يكون لي ابنا لكنتَ أنت في سن ابني.. وعيب كبير أن يَهزِم مثلُك مثلي.

– لا داعي للفلسفات.. هذا قراري.

– قرار خاطئ، جنيتَ به على نفسك.

– ماذا ستفعلين؟! أتقتلينني مثلا؟!!

سرحت مع نفسها قليلا وقالت:

– ربما ستقتل أنت نفسك بنفسك.

– ماذا؟!!

اعتدلت له تكلمه بجدية:

– إذا سلَّمتُك سرًّا يساوي مائة ألف أو يزيد تطلِّقني بلا شرط.

– أيَّ سرٍّ تقصدين؟!!

– سترى.

عمدت إلى التليفون تطلب أمه:

– من فضلك يا "ست" أم سامي تشرفيني الآن في البيت لنرى حلًّا لموضوع ابنك.

– حاضر من عيني يا سهير.. والله كلمته كثيرًا.. دماغه ناشف.. وأنت "ست الكل.. ولا نقدر نزعلك".

– المهم تعالي لكي نتكلم في أمر خطير.

**

(....)

# الأم

رنَّ الجرس.. توقَّعت سهير أنها أم سامي.. قبل أن تفتح لها طلبت منه أن يختبئ.

أخذت الأم مجلسها وهي تقول لها:

– والله لا أدري ماذا أقول.. أنت "ست الستات".. وهو لايزال صغيرا.. خذيه في حضنك ودلَّعيه.

قالت سهير:

– والله يا ست أم سامي هو زادها معي.. زادها فعلا وحاولت معه يستهدي بالله.. ويخزي الشيطان.. وكأنه كالمثل الذي يقول:

(كلما نتحايل على القط يطول ذيله)

تضحك الأم وهي خجلة وتقول:

– حاضر من عيني سأتكلم معه مرة أخرى وربنا يهدي.

قالت سهير:

– اصبري لما أكمل لك ما حدث.

– تفضَّلي.

– صراحة لَمَّا زوَّدها.. وأنا أحايله وأتحمَّل كلامه وعصبيته، وقلَّة ذوقه...

قالت الأم:

– حقيقة أنا محرجة منك.. سأتكلم معه.

أكملت سهير وكأنها لم تسمعها:

– ولكن لما قال لي: "أنت تمزحين مع الرجال.. غلا الدم في عروقي و.. لا أخفي عليك.. كدت أقول له:

"أنا أمزح مع الرجال في النور، اذهب وشاهد أمك ماذا تفعل في الخفاء.. ولكن أمسكت لساني.

انتفضت الأم:

–لا يا سهير لا يا حبيبتي هذا الكلام لا يقال مهما حدث.. لقد وعدتني أن يبقى سرِّي في بير.

– قلت لك أمسكت لساني.

– ولا حتى يخطر على بالك.. وأنا حكيت لك لما وثقت بك.

– لما وثقت بي أم لما رأيتكِ معه؟

– سيَّان يا حبيبتي.. سيان.. إياك أن تخبريه بشيء، الولد مجنون ومتهوِّر.. يؤذي نفسه..

تصنَّعت سهير الهدوء وقالت:

– لا تؤاخذيني.. كنت أدافع عن نفسي لكن الحمد لله لم أتكلَّم..

– تمام ربنا يبارك فيك.

– دعينا من هذا يا أم سامي ولا تقلقي منه.. قولي لي آخر أخبارك معه.

– مع من؟!!

– حبيب القلب.

– انتهى كل شيء.. قطعت علاقتي به.

– تحوِّرين عليَّ..

– لا.. لا.. صدِّقيني.. حتى اسأليه.

– أسأل من؟!!

– الرجل.. أليس زبونك؟!

– ولماذا أسأله؟ أنا أصدِّقك.

شربت أم سامي القهوة وهي تؤكد عليها بعدم كشف المستور وأن الموضوع انتهى وراح لحال سبيله.

مشت أم سامي وهي تَرجُف ولا تثق بأن سهير ستصون السرَّ.

خرج سامي من مخبئه مترنِّحًا صامتًا.. فقامت سهير لتضمُّه إلى صدرها فنحَّاها بعيدًا، فعزمت على كسره أكثر..

**

(....)

# مفتاح الكرار

مشت الأم من عند سهير متوجسة خيفة من نابها الأزرق.. صحيح أن ابنها البادئ بالغدر؛ لكنه نتاج تربيتها..

مشت تستعرض حياتها.. كيف تعرفت على ذلك الرجل الذي رأتها سهير معه.. تعرفت عليه من عندها في المحل.. كانت عندها وتركتها سهير لبعض الوقت، فجاء هذا الرجل..سأل عن صاحبة المحل فقالت له أم سامي:

- إنها على وصول..

فقال:

- أنت قريبتها.

- لا والله.

- كأنني رأيتك من قبل.

- سكنت هنا جديد..

- إذن عرفت من أين جاء النور للمكان..

أحرجت المرأة.. فطمأن نفسه.

في اليوم التالي راقبها قرب باب بيتها، ولما خرجت تبعها حتى ابتعدت ثم لحق بها وكأنه قابلها بالمصادفة..

سألها: عن أي خدمة يقوم بها؟

شكرته فأصرَّ عليها أن تستخدمه في أي شيء.. ومشى بجانبها وتبادلا الكلام، فهما جاران والجار للجار.

يوما بعد يوم كانت تلتقي ذلك الرجل، تحكي له عن سلبية زوجها وخذلانه الدائم لها.. وكيف هو لا يملأ عينها ولا قلبها ولكنه أبو العيال.

وشكا لها من وحدته حتى إنه فكر أن يتزوج سهير صاحبة البوتيك .. ويوم أن رآها هناك كان ذاهبا لطلب يدها، ولكنه لما رآها –أي أم سامي– غيَّر رأيه.. ولكن سوء حظه جعل التي يهواها قلبه متزوجة ولا سبيل إليها.

من يومها وأم سامي لا تطيق زوجها ولا أولادها، وظلَّت تثور على الجميع حتى طردت ندوش وأباها من البيت..

وما فائدة أن يخرج من البيت وهي في عصمته.. فكَّرت فيما يجب فعله.. هل تطلب الطلاق؟.. هل تخلعه؟ ولكنها لم تجرؤ على أي من

هذا أمام أولادها.. ولكن لقاءها بهذا الرجل، وزوجها ليس بالبيت أهون ويهدئ أعصابها قليلا، غير ما كانت تلتقيه وتعود فتجده أمامها..

وظلَّت تلتقي بالرجل الذي أحبته سرًّا حتى رأتها سهير.

تحيرت أم سامي كيف تخرج من هذا المأزق أمام زوجة ابنها؟ زارتها وبقيت صامتة لبعض الوقت.. فشجعتها سهير أن تتكلم قائلة:

– سترك وغطاك وسرك في بير.. وما هو الإنسان سوى لحم ودم ومشاعر.. الحقيقة الرجل ما شاء الله لا قوة إلا بالله.. صوت وصورة.. هو جارنا وأنا أعرفه جيدا.. رجل طيب ووحيد ونيته طيبة.. ولكنك متزوجة.. أتنوين الخلع؟! أنا معك لو أردت.. أنا أشجعك.. ضربات القلب لا تأتي بسهولة.. والحب ليس بيد الإنسان..

استمعت أم سامي لكلامها، ثم مشت نت عندها دون أن تنطق حرفا؛ لكنها في المرات التالية انفكت عقدة لسانها....

فكانت تكلمها كبنت في مقتبل العمر.. تكلمها عن مشاعر لأول مرة تحسُّها.. وكانت كلما التقت بالرجل أسرعت إليها تحكي لها.. وفي نهاية كل حديث تحذرها:

– إياك يا سهير.

فتقول لها:

– في بير يا أم سامي.

ولم تعلم أنها "سلمت للقط مفتاح الكرار"!

**

(....)

# استحالت العشرة

قالت سهير لسامي:

– انتظر.. اللعبة لم تنته بعدُ.

وقامت إلى التليفون:

– ندوش حبيبتي.. تعالي لي أي وقت تستطيعين، لكي أحكِّمك بيني وبين أخيك.

– ثانية يا أبلة.. أنا فعلت معه ما في وسعي وأنت حرة التصرُّف.

– تعالي يا ندوش لأني فكرت في حل وآخذ رأيك فيه.

أعطتها موعدا.. جاءت فيه وكانا بانتظارها.. جاءت ندوش ولا تدري ما تخبِّئ لها الأيام.

وكما فعلت في المرة السابقة مع أمه.. أخفت سامي واستقبلت ندوش بالترحاب:

– أهلا.. أهلا يا عروستنا.. أين أنت.. من لقي أحبابه نسي أصحابه.

– أبـدًا والله يا أبلـة سـهير.. لـيس لـديَّ الوقـت.. بـين المستشـفى والبيت.

– وتنسين سهير وأفضالها عليك.

– لا يمكن أن أنساك.. ويوميًّا أدعو لك.

– دعواتك وصلت يا حبيبتي وقلبت عليَّ أخاك.

– أنا آسفة والله يا أبله؛ ولكنه سيعقل إن شاء الله.

– المهم أنت مبسوطة في الزواج.

– جـدا جـدا يا أبلـه.. فـوزي نعـم الـزوج.. عطـوف وطيـب وفرحـان بالحمل..

– الحمل!! أنت حامل ما شاء الله..

رفعت صوتها قليلا وقالت:

– الحمد لله أنك لم تحملي من الولد الأولاني الله يجحمه.

– ما هذا الكلام يا أبله.. ما الذي جاء بهذه السيرة الآن؟!

– أبدًا يا حبيبتي تذكرتها بمناسبة الحمل.. أتذكرين ياندوش كيف كنا خائفتين.. ونحن ننتظر الوقت.

رفعت نادين حاجبيها ولم تردَّ.. فأكملت سهير:

– إياك أن تكوني قد أخبرتي فوزي بالعملية.

– لا يا أبلة.. لم أخبره.. والبركة فيك أنت التي سترت عليَّ وأخذتِني للطبيب ووقفت بجانبي.

– أنا أيضا ممتنَّة أنك وثقت بي، ولم تلجئي إلي أحد غيري.

– وكانت ثقتي في محلها يا أبلة.

– والحمد لله أنا لم أقصِّر معك.

– لم تقصِّري أبدا.. شكرًا لك على كل شيء.

– العفو يا حبيبتي العفو.. أعرف أنه ضحك عليك الملعون وأنك بريئة وساذجة.

– دعيك من هذه السيرة وقولي لي:

– ماذا ستفعلين مع سامي؟

– لا تشغلي بالك أنت.. أنا فعلت ما يجب فعله.. ليعرف كل واحد حجمه الحقيقي.. وهو الجاني على نفسه.

– لم أفهم معني كلامك.. ماذا فعلتِ؟!!

– تفهمين فيما بعد.

خرجت نادين متخبطة من كلام سهير الذي ينذر بالخطر.

وخرج سامي من مخبئه لكنه ارتمى على الأرض فاقدًا الوعي.

أفاقته سهير ببصلة في أنفه.. وتركته مرميًّا مكانه على الأرض حتى استعاد نفسه وجاءها زاحفا ذليلا يطلب منها أن تسامحه.. فقالت:

- على رأي القاضي الشرعي.. استحالت العِشرة.

**

(....)

# الخوف من المجهول

كان مصطفي في بيته يضرب أخماسا بأسداس، كيف هذا الإلهامي جاء خصيصا من أجله.. لابد أنه عرف ما حدث..ثم أنه على علاقة عمل مع مديره؛ يعني متحكِّم في أكل عيشه هنا...

كان يلف حول نفسه خائفا من المجهول حين دق الجرس ووجد نفسه وجها لوجه أمام إلهامي بك بشخصه..

تلعثم وهو يرحب به ويدعوه للدخول؛ ولكن إلهامي أمسكه من طوقه وجذبه خارج شقته وضغطه بالحائط وهو يقول له:

– "من آمنك لم تخنه ولو كنت خائنا"..أسمعت بهذا المثل.

– آسف والله كنت سأتصل بك.

– ألم أثق بك؟ وسلمتك الشركة والموظفين تتحكم بهما، وسلمتك ابنتي لتصونها.

– آسف والله كنت سأنزل لأتم الزواج.

– أي زواج أكانت لتنتظر خائنًا مثلك.. ندوش تزوجت.

فغر مصطفى فمه وشهق، جحظت عيناه وقال:
- كيف تزوجت.. لا ينفع!!
سُقط في يدي العم.. دارت به الدنيا فقذف به قائلا:
- لنا لقاء آخر.

في حجرته بالفندق كان العم يستعرض صورة ندوش وهي ترفض بإصرار أن ترجع الشركة.. وكيف كانت حزينة وكأن شيئا يخيفها.. ماذا حدث.. وكيف أعرف.. الولد لم يصدِّق أنها تزوجت ويسأل: كيف؟ ويقول: لا ينفع.. ماذا حدث وندوش لم تحك لي ولن تحكي.
ثم قال لنفسه: لابد من معرفة كل شيء الآن.. لابد من طرق الحديد وهو ساخن.
نزل من فوره رأسا على بيت مصطفى..ضرب الباب بقدمه فتحه ودخل عليه فزاده رعبا.. قال له:
- سمعتني في النهار لما قلت لك جئت من أجلك.
يهز مصطفى رأسه ويقول:
- سمعت سمعت.

– ليس من أجل أن أرفدك من عملك فقط ولكن لإدخالك السجن.

– أنا تحت أمرك.. مستعد أن أصلح غلطتي.

– لا أريد أن تصلح غلطتك.. أريد القصة كاملة كما حكتها لي ندوش. لا تنقص حرفا ولا تزيد حرفا.. أسمعت؟!!

هز رأسه:

– سمعت سمعت.

ظل مصطفي يحكي وهو حريص ألا يخفي حرفا؛ بل زاد عليها نيته السيئة، وكيف عرف بمرضها.. وكيف كانت نيته تجاه الشركة ذاتها.. وختم كلامه بأن يستر عليه وهو مستعدٌّ لأي ترضية.

قال إلهامي:

– وتنتظر أن أزوجها لك.

قال:

– نعم.

– أتظن أني أكافئك بها!!.. ألا ترى نفسك كم أنت حقير!!..

قلت لك: لقد جئت لرفدك وسجنك.. وتركه يضرب رأسه بالأرض.

**

(....)

# وعاد لأمه

جاءها سامي زاحفا ذليلا يجرُّ أذيال العار منكوبًا في أمه وأخته.. واعتقد أن في جرابها ما هو أسوأ.. جثا على رُكبتيه أمامها يطلب الصفح والسماح.. فقالت:

– ما انكسر لا يمكن إصلاحه.. الآن استحالت العشرة بيننا..

– أنا لا استغنى عنك يا سهير.

– وأنا التي لا تريدك يا ابن الحلال..

– ارجوك يا سهير.

– طلِّقني بهدوء إذا أردت أن تبقى سيرة أمك وأختك مستورة..طلِّقني ولا تضطرني للخُلع وينكشف زواجك السري.. وكشف أمرك في كليتك يا تلميذ..

تم الطلاق في ذات اليوم.. خرج سامي من بيتها الناعم وحِضنها الدافئ بما عليه فقط، فجميع ملابسه من عرق جبينها.. ولله الحمد أنها أبرأته من الحق والمستحق.

عاد مصطفى لبيت أمه محطَّمًا كسيرًا يجر أذيال الخيبة من ناحية، ونافرًا منها من ناحية أخرى.. فما أن وضعت يدها على كتفه حتى ارتعد وابتعد عنها فورًا.

لزم حجرته مكتئبًا وكئيبًا يفكِّر في أن كل حياته قد دمِّرت.. لا يمكِنه الذهاب إلى كليته بملابسه القديمة.. ولا يمكنه أن يعيش حبه مع علياء التي تعرف قدر غناه، ولا يمكنه أن يقترب ناحية البوتيك؛ فالزملاء والزميلات في حركة دائبة عليه.. وتخيل أنهم سألوا عنه وأخبرتهم سهير بكل الحقيقة وهذه المرة دون إخفائه بالداخل..
ثم إنه قد زهد في كليته بعد أن عرف مكسب التجارة..
انحصر هدفه الآن فيما يجب فعله، كان يفكِّر كيف يبحث عن عمل يعيش منه.. أم يبحث عن سيدة أخرى في ظروف سهير يتزوَّجها ليكمل بها تعليمه؟!

فور أن تم الطلاق وخرج سامي يجرُّ أذيال خيبته، قامت سهير إلى فازة خزفية كبيرة غالية الثمن..

حملتها بكل قوتها ورفعتها قدر استطاعتها وألقت بها على الأرض..

نظرت لقطع الخزف المتناثرة وأخذت نَفَسًا عميقا وقالت:

- لم يهدأ غيظيَ بعدُ..

**

(....)

# فوزي ١

كان فوزي يجلس مع نادين يتسامران في حب وسعادة وفرحة بالحمل.

يشمخ فوزي برأسه ويقول:

– لقد صرت أبا.. سأكون حازما لأجعله رجلا في سن مبكرة.

تضحك نادين وتقول:

– إنها بنت جميلة.. لن أتخلى عنها أبدا.

دخلت عليهما الأم وهي تقول:

– سمعت صوتكما تضحكان.. خيرا أشركاني في سعادتكما.

قالت نادين:

– تعالي يا أمي لنأتنس بك.. ونسمع رأيك في هذا الخلاف.

قال فوزي على الفور:

– لا يمكن أن يكون بيننا أي خلاف.. خطتي في تربية ابني نؤجلها لأجل عيون ندوش ولبعد ما تسعدين بابنتك "يا ست الكل" وتأخذينها في حضنك.

قالت الأم:

– هل سأظل هكذا كالأطرش في الزفَّة؟!!

ضحك كلاهما واحتضنتها نادين وقالت:

– فوزي يريد ولدًا ليربّيه على الحزم والشدة، وأنا أريد بنتًا لأربّيها على الدلال واللين.. فما رأيك أنت؟

ضحكت الأم وقالت:

– رأيي أن تأتي لنا باثنين مرة واحدة؛ ولد وبنت.

ضحكوا جميعا وقالت نادين:

– أتمنى فعلا أن يكونا اثنين.

قال فوزي:

– على شرط أن أسمي أنا البنت وأنت تسمين الولد.. أنا أعرف الاسم الذي في رأسك وموافق عليه.

– كيف تعرف ما في رأسي قبل أن أفكِّر به؟!

– لأنني أعرفك أكثر من نفسك.

– إذن عليك أن تخبرني الآن بالاسم الذي سوف أفكِّر به ولم يخطر على بالي بعد.

– إلهامي.. أليس كذلك.!!

اندهشت نادين واحتضنته وقالت:

– أظنك توحي لي بالاسم لأنك تفكر دائمًا كيف تُسعدني..

صمتت قليلا تستوعب ما هي فيه من نعمة ثم قالت:

– وما اسم البنت إذًا؟

ضمَّ أمه وقال:

– اسم أمي حبيبتي.. وبذلك يكون كل منا قد اعترف بالفضل لمن ربَّاه واهتمَّ به.

– قالت الأم ربنا يديم عليكما السعادة والحب.

سأل فوزي نادين:

– تخيلي أنا لم أسألك مباشرة حتى الآن.. أتحبينني.

– نعم بكل تأكيد.

– ولماذا؟

– "إن الحب لا يمكن تفسيره، فهو يفسر كل شيء."

ضحك وقال:

– جلال الدين الرومي.

رنَّ جرس تليفون فوزي.. وقبل أن يقول: أهلا يا... جاءه التحذير بألا ينطق الاسم.. ويأتي حالا لأمر مهمٍّ.

استمع فوزي للقصة وهو مذهول.. واعتذرت سهير له أنها أخفت عنه من البداية.. قائلة:

– أنا لم أخبرك الآن إلا بسبب عذاب ضميري..

ولكن يشهد الله وحتى لا أكون ظلمت البنت.. أنها انخدعت وليس بإرادتها.. فقد كانت تحت تأثير أدوية الاكتئاب وأنت تعرف الاضطراب النفسي وما يفعله..

وحتى الطبيب الذي أجرى لها العملية اسمه دكتور منير اقتنع ببراءتها.. وهو الذي دربها على التمريض وأخذها معه في المستشفى.. لا أريدك أن تظلمها يا فوزي..

مشى فوزي يجر رجليه وصوتها يفُخُّ من خلفه.

– لا تظلمها يا فوزي.. البنت ساذجة.. والولد خدعها.

**

(....)

## فوزي٢

مشى فوزي محمَّلاً بأثقال كالجبال.. دخل بيته فاستقبلته نادين كما تعودت فنحَّاها بعيدًا.. ودخل غرفته وأغلق عليه بابها.

قام في موعد المكتب فخرج من البيت دون أن يكلِّم أحدًا.. تحيَّرت نادين ماذا عساه أن يكون قد كدره؟!

وضعت يدها على بطنها وكأنها تحتمي بها من شرٍّ مستطير.

سألتها أمه:

– ماذا به؟ هزَّت كتفيها.. لا أعرف والله..

يومًا بعد يوم فوزي صامت.. لا يردُّ على تساؤلاتها، وإذا أصرَّت أن تعرف ما به وتقول له أمه:

– ردَّ عليها.

يقول لها:

– ما أخبار دكتور منير؟

تندهش وتجيبه:

- بخير.. ماذا به؟!

- أبدًا رجل طيب ومتعاون.

- إذا كنت متضايقًا من عملي في المستشفى، يمكنني أن أستقيل من الآن.

- لا.. على العكس.. من الأفضل أن تستمري في شغلك.

- إذن أستقيل بعد الولادة.

- الله أعلم..

**

لاحظت الأم المعاملة الفاترة التي يعامل بها ابنها زوجته ولم تكن كذلك من البداية.. فدخلت عليه غرفته وأغلقت الباب عليهما مصرَّة على معرفة ما حدث.....

خرجت من الغرفة وقد تبدَّلت هي الأخرى.. مما زاد من حيرة نادين وقلقها.. رفعت رأسها إلى السماء تسألها: ماذا تخبِّئ لها الأيام؟!

**

(....)

# هل ظلمناها

أمواج عاتية تضرب في جدران بيت نادين من الأساس فقوَّضتها، ولا تعلم مصدرها.. لما استشارت والدها وعمها وطبيبها، الكل أجمع على الصبر:

– الصبر يا نادين.. الصبر يا نادين.. الصبر يا ندوش.. لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

لجأت لأمور كان عمها يعلِّمها لها وهي صغيرة وكانت تفعلها وقتها من قبيل الدلع..

كان عمها لما شعر بدماء الرجولة ونزق المراهقة، أراد أن يمارس دور "سي السيد" في البيت..

نظر مَنْ الأنثى التي بالبيت ويمكنه أن يمارس ذلك الدور عليها.. ليس بالطبع أمه وإلا كسرت رأسه.. إذن هي ندوش.. فكان يقول لها:

– ندوشة حبيبتي.. هات الفوطة وانتظريني هنا.

تضحك وتجري ابنة الست سنوات وتخطف الفوطة من يد جدتها وتجري بها إلى عمها.. يأخذ منها الفوطة ويكافئها بقبلة.

ابنة الاثنتي عشرة عاما تحمل طست الماء الساخن وتأتي به لجدها حسب أوامر عمها الذي يعلِّمها كيف تدلِّك رجليه وتنشفهما.

والجد يضحك ويقول له:

– أمك الله يرحمها لم تفعلها.. لا تقسُ على البنت.

فيقول له:

– لا أقسو عليها؛ وإنما أعلمها طلبات الزوج.

فيقول الجد:

– ربنا ينعم عليها بزوج متواضع وليس مثلك.. الله يكون في عون من تتزوجها.

وبعد أن تنتهي ندوش من دعك قدمي جدها وتنشيفهما وإلباسه الشراب.. يضمها ويقول:

– أجمل شيء فعلته جدتك الله يرحمها أن أتت بك إلى هنا.

كان العم يتكلم معها كثيرا.. فكان يقول لها:

– البنت تقول حاضر ونعم.. وتبتسم دائما حتى لو كانت حزينة.

أيضا لا تجادل كثيرا ولا ترفع صوتها.

والغريب أنه لما تزوج لم يمارس كل ما كان يؤمن به؛ بل تحكمت زوجته وأصرَّت على إخراج ندوش من البيت.

تذكرت نادين كل هذه الأحداث وبدأت في تنفيذها مع زوجها؛ لعلَّها تكسب رضاه ويعود صفاؤه لها أو تعرف ما الذي غيره، ولكن هيهات!

ساءت المعاملة أكثر ليس من فوزي فقط بل وأمه أيضا..

زاد من عذاب نادين وأخذ استفزازها المتعمد يأخذ منحا جديدا.. دخلت على الخط ابنة عمه.. كثر مرورها عليهم، بدعوة أحيانا وبغير دعوة أحيانا، ربما كان المقصود هو أن تطلب نادين الطلاق.. أو تحدث شغبًا يبرِّر موقفهما أمام الناس.

وجاءت الفرصة..

كان يمازح ابنة عمه أمامها، وأمه تقدِّم لها الساخن والساقع.

ارتفع ضغط دمها وصاحت فيهم:

- لا أريد هذه المسخرة في بيتي.

نهض فوزي على الفور معنِّفًا وكأنه كان ينتظر تلك الجملة:

- ليس بيتك؟! عليك بمغادرة بيت أمي حالا.. أنا لا أريدك فيه..

جرت إلى غرفتها وارتدت ملابسها بسرعة وأخذت مفتاح شقة جدتها أو عمها، واتجهت نحو باب الشقة ولم يوقفها أحد أو يسألها إلى أين.

بل صاح خلفها:

- لا تدَعيني أرى وجهك.

خرجت وتعانق كلٌّ من فوزي وأمِّه وهما دامعان، ويقول كل منهما في نفسه:

"لقد ظلمناها.. قسونا عليها كما فعل الزمن"

**

(....)

## أين نادين

كان والد نادين بعد أن تزوجت قد وجد نفسه وحيدا في شقة أمه.. تركها وذهب ليعيش في شقته القديمة..

ولم تدعوه زوجته ليعيش معهم ويحتضن أولاده، ولم يرغب.. كل منهما ارتاح لبُعد الثاني عنه.

سألته نادين:

لماذا يا أبي تركت بيت جدتي؟!!

قال:

– هذا بيت عمك إلهامي.. وعشت فيه معك.. لأنه لك فيه نصيب معنوي.. أما الآن فلابد أن يعود البيت لأصحابه يا ابنتي.

والغريب أنه لما سأله إلهامي:

– لماذا تركت بيت أمنا؟!!

قال له كلاما مختلفا:

– البيت كبير عليَّ وحدي ويحتاج إلى جهد ليس عندي.. شقتي القديمة "محندقة" علي.. وفي منطقة شعبية ونس وبجوار المقهى الذي تعودت عليه، والناس فيها يساعدون بعضهم البعض.

صفقت نادين باب الزوجية خلفها، ومشت هائمة باكية لا تتبين الطريق وداخلها حركة متمردة لا تعرف سببها، كانت دموعها قد جفت قبل أن تصل إلى بيت جدها.. وأغلقت بابه عليها واحتمت بجدرانه.

ظلت مختفية لأيام دون طعام إلا ما يحفظ الرمق.. كانت المستشفى تبحث عنها دون جدوى، فهي متغيبة عن العمل.

فلما اتصلوا بوالدها خمَّن على الفور أنها في شقة جدِّها، فتوجه إليها على الفور فوجد نادين ربما مشرفة على الموت.. أسرع يسقيها الماء ونزل على الفور ورجع بطعام وعصير.. لم تتبلع إلا بلقمتين وعافت الزاد.. ظل الأب جالسا بجوارها وهي في حضنه وقتا طويلا حتى دبَّت فيها الحياة من جديد.. ثم عرف منها القصة..

قام الأب متحاملا على نفسه واتصل بأمل صديقتها المقرَّبة وأخبرها بمكانها، وأنها في حالة سيئة.. فأتت على الفور ومعها محلول الجلوكوز.

ثم اتصل بابنته شيرين.. وأخبرها بحالة أختها.

جاءت شيرين وأمل على الفور.. تقابلتا في مدخل البيت.. احتضنت شيرين أختها واعتذرت عن تأخرها عنها، والسبب هو صدمتها بما حدث لها حتى أنها قررت عدم الزواج..

قال الأب:

– آسف يا بنتي.. ظننت أنك ذهبت لبيت أمك.. فلم أسأل عليك ولم أعرف أنك هنا وحدك.

وقالت شيرين:

– وأنا ظننت أنك مع أبي، فقلت: أدعكِ بعض الأيام حتى تهدئي.

أما أمل فبعد أن احتضنتها وعلقت لها المحلول ليقيم أودها، قالت تمازحها:

– تعرفين أن السادة الأطباء لا يستغنون عنك، ولا فخامة "ريستك". التي هي أنا.. وسأتسبب في خصم نصف راتبك هذا الشهر، وثمن هذا المحلول.

تعمد الجميع الضحك لادخال السرور عليها، بينما سمعوا جرس الباب.. فسألتها أختها:

– تنتظرين أحدا.

– هزت رأسها بالإيجاب.

وقبل أن ينهض أحدهم ليفتح للطارق، سمعوا المفتاح يدور في قفل الباب، وقبل أن يعبّروا عن دهشتهم تدخل أم ولاء..

منذ أن جاءت نادين لهذا البيت لم تتركها أم ولاء؛ بل أخذت مفتاح الشقة حتى تطلَّ عليها في أي وقت، ولولاها لماتت فعلا جوعا وعطشا.. والأكثر من هذا أنها أعادتها لاسم ندوش لتستمتع ببيت طفولتها واسمها من جديد، كما منحتها كثيرًا من الأمل..

حاول الأب أن يشكرها ويقول:

– بالفعل يجب علينا أن نطمئن عليها طالما أنت هنا، فأنت فعلا بمثابة أمها،وقد تربت مع ابنتك.

– بل هي التي عوضت عندي غياب ولاء بعد أن تزوجت.

سألت شيرين عن ولاء فقالت أمها:

– ستأتي غدا الجمعة منذ أن تزوجت لا أراها إلا يوم الجمعة.. وهي لم تعرف بعدُ عن ظروف ندوش أي شيء..

ثم قالت أم ولاء لوالد ندوش وأختها وصديقتها:

– آن الآوان لتعرفوا حقيقة غائبة عنكم: "ندوش تعالج نفسيا.. وهي بحاجة للذهاب للطبيب لكنها هذه المرة ترفض بشدة، وهذا عكس ما كانت تفعل من قبل.. ليتكم تساعدونني في إقناعها:

قال الوالد:

– عدم رغبتها في الذهاب للطبيب هو ليأسها من الحياة.

قالت أمل:

– هكذا يا نادين.. رغم الصداقة المتينة التي بيننا لم تخبريني بهذا الأمر.

أما شيرين فقالت:

– كنت أشعر بها، ويمكنني أن أخمِّن منذ متى.. الله يسامحك يا ماما.

كان الطبيب يعرف توتر الحال بينها وبين زوجها، وزادوا له أنه طردها من بيته.

قال الطبيب لجميع من أتوا له بصحبة نادين:

– هناك من الأمور ما لابدَّ أن تُترك للزمن يحلُّها.. المهم الآن عليها أن تهدأ وتتناول الدواء في موعده وقد زاد عليه حقنة كل شهر..

**

(....)

## إلهامي

لما عرف إلهامي بالمصيبة التي وقعت فيها ندوش باعتراف المجرم نفسه، سُقط في يده، ولم يدر كيف يتصرَّف، ولما كان يعرف أن البنت قد تزوجت وسعيدة مع زوجها وقد منَّ الله عليها بالحمل.. آثر ألا يثير مشكلة حتى لا يكبر الموضوع وينكشف المستور، ترك مصطفى من يده منبِّهًا عليه ألا يجعله يرى وجهه طالما هو هنا ويتعامل مع مديره.

اندمج إلهامي في المشروع الضخم الذي ينفذه مع شركة العريفي متحاشيا الالتقاء مع مصطفى في أي مناسبة، ومصطفى بالتالي يتحاشى الاقتراب من مكان يكون فيه إلهامي بك..

بالوقت نفسه ظل لشهور لا يعرف كم لا يتصل بندوش لأنه لا يدري كيف يتكلم معها، وما نوع الحوار الذي يجب أن يدور بينهما؟!

وضع همه في المشروع وامتلأ حزنا وأسفا وعجزا من هذه الناحية بالذات...

وبعد تلك الشهور، وقد قرب مشروعه على الانتهاء، شعر بحنين إلى البنت التي ربَّاها والتي ربما تكون قد وضعت طفلها أو على وشك وضعه.. تشجع وجهز نفسه أن يكون طبيعيا وكأنه لا يعرف شيئا.. اتصل بها وشيء غامض يعصر قلبه ولا يعرف سببه..

جاء صوت ندوش وكأنه من أعماق بئر سحيق ترد باقتضاب:

أهلا يا عمي... الحمد لله بخير... افتقدتك كثيرا... الجنين... قتلوه يا عمي... قتلوه في السفارة...

أدرك إلهامي أن شيئا مروعا أصاب ابنته، وهذا الشيء بسبب ذلك الولد المجرم الذي استحرم أن يؤذيه، فوجد نفسه يقول لها:

- سأنزل من أجلك في أقرب وقت.

اتصل بأختها شيرين فعرف أنها طلِّقت وأن جنينها مات داخلها، وأنها تقيم في بيت جدتها وحدها... وأضافت:

- ونحن لا نتركها..

فسألها:

– لماذا تقول: اغتالوه في السفارة؟ قالت:

– أسمته جمال على اسم الصحفي الذي اغتالوه في السفارة.

– ذهب إلهامي لمدير الشركة التي يتعاون معها ويعمل فيها الولد الغادر.. يخبره بأنه مضطر للنزول إلى مصر لبعض الأيام.. ثم قال له:

– وهناك شيء مهم أريد إخبارك به.. هذا المهندس الذي يدعى مصطفي كان يعمل عندي في الشركة.. واكتشفت وراءه كثيرًا من المخالفات.. ومَنْ هذا أسلوبه فهو لا يتخلى عنه في أي مكان.. خاصة إذا نجح مرة وهرب بغنيمته، فما عليك إلا أن تبحث خلفه.. وأرجو ألا تجد شيئا مريبا..

نزل إلهامي إلى القاهرة.. وأخذ ندوش في حضنه ولم يزد عن قول: أنا آسف.. أنا آسف.

والأيام تمر ولا تنتظر أمانينا.. لم يستطع إلهامي البقاء بجوار ندوش أكثر من ذلك، لابد من أن يسافر ليتم مشروعه، استأذن من ندوش أنه مضطر لتركها، والعودة لعمله.. ثم قال:

– هناك خبر لا أعرف إذا كان يهمك أم لا.. مصطفى دخل السجن في دبي بتهمة اختلاس أموال.

نظرت إليه نظرة متسائلة دون أن تنطق فأكمل:

– اتصل بي شريكي في دبي وأخبرني بهذا الخبر فقد كنت لفت نظره لسوء مسلكه معنا.

أطرقت ولم تجبه، فقال:

– كنت متأكدا أنه لا يعني لك شيئا.

أوصى العم بها طبيبها ووالدها.. وانطلق عادا وفي يده.. سامي:

**

(....)

# إلهامي ٢

كان العم خلال الوقت الذي قضاه بجوار ندوش يعيد إليها توازنها.. قد أدرك أن من تمام صحتها هو صحة من حولها.. فالتقي بأول من إلتقي فوزي.. سأله عن السبب الذي جعله يغير معاملته حتى يصل لهذه النتيجة وهو الذي أوصاه بها..

قال فوزي: إنه عرف بموضوع بالمصادفة ولم يقل ممن؛ هذا الموضوع جعله غير قادر على الاستمرار معها نفسيا رغم علمه بأنها مظلومة، ولا يد لها فيه.. ثم رجاه ألا يخبره بهذا الموضوع فهو من الأمور التي يجب أن تدفن..

كان العم قد أدرك الأمر وفضل بالفعل ألا يخوض فيه.. ولما كان فوزي قد تزوج بالفعل من ابنة عمه، واستقرت أموره دعا له بالتوفيق وتركه.

ثم جلس مع سامي طويلا لما عرف أنه طلق سهير ويحبس نفسه مكتئبا عاجزا عن فعل أي شيء..

تقرب منه وسأله عن سبب تغيبه عن كليته فعرف أنه بعد طرده من نعمة سهير فقد كل مميزاته في الكلية والتي كان يظهر بها أمام زملائه.. وقد انفضخ أمره بكليته، لذلك فهو لا يقدر على المواجهة.. وعرف أيضا قصة حبه لعلياء..

لم يخبر سامي عمه بما عرف عن أمه وأخته تحرجا وحتى لا يزيد الأمور تعقيدا..

إرتأى العم أن الحل هو أن يلتمس سامي التأجيل من كليته لعام قادم.. ويأتي للعمل معه في دبي لكي يستعيد توازنه ويكسب المال الحلال بجهده دون الاعتماد على أحد.. ويتعلم في الوقت نفسه معنى الرجولة.

ثم واجه الأم.. قال لها أرأيت سوء تصرفك كيف أوقع الجميع في مشكلات لا داعي لها..

كانت الأم تعيش في رعب حقيقي، خائفة من أن تخبر سهير بالسر الذي عندها لأولادها وزوجها، وقد قطعت علاقتها بالفعل بذلك الرجل الذي أحبته في لحظة طيش، فعاد لفكرته الأولى وتقرب من سهير وتزوجها..

كل هذا والأم لا تعلم أن ابنها يعرف سرها ويعرف أكثر منه، ولما عرفت أن الرجل قد تزوج سهير هدأ بالها قليلا، فهذا كفيل بأن يكسر سمها فلا تخوض في عرضها.. أبدت الأم أسفها.. وحاولت التقرب من نادين والاعتذار لها ودعتها للعودة إلى بيتها ولم الشمل، ولكن نادين صممت أن تبقى وحدها في بيت جدتها، فأيدها العم على أن يبقى الود بين الجميع موصولا..

اطمئن العم إلى حد ما على استقرار حالة ندوش، وأنها عادت تتابع مع طبيبها دون خجل أو اخفاء لمرضها.. فقد أقنعت أم ولاء الجميع أن المرض النفسي كأي مرض عادي لا يجب اخفاؤه، وأن مريض السكر والضغط يعيش طوال العمر بالدواء مثله مثل المريض النفسي الذي قد يحتاج إلى قرص واحد في اليوم..

وبالفعل قد خفض لها الطبيب الجرعة، ولما اطمئن العم أنها بدأت تندمج في عملها وتركت الربط المستمر بين موت ابنها وموت الصحفي السعودي.. عندئذ قرر العودة لعمله خاصة وشريكه هناك يتصل به يوميا ويدعوه للعودة السريعة.

(....)

# ولا جواب

تندمج نادين في عملها، ولا تترك لنفسها الفرصة تجترُّ أحزانها.. وهذا ما تكفَّلت به أمل.

اندمجت نادين في عملها وحظيت بعناية دكتور منير وزميلاتها عنايات وأنعام والجميع..

ورغم ذلك كلما خلت إلى نفسها، استعرضت جانبا من حياتها الطويلة بخيرها وشرِّها، فأحيانا تشعر أنها مع جدتها.. تجري عليها فتأخذها في حِضنها وتنوِّمها بجوارها وتحكي لها قصة:

"الثعلب المكار والحلة فوق النار".. وتسأل نفسها:

"لماذا الثعلب المكَّار بالذات الذي كانت جدتي تعيد حكيه؟!!..

هل كانت تحذِّرني من الثعلب أو من الثعالب الكثيرة التي تصادفنا في الحياة ونعتبرها أصدقاء؟!!

تستعرض جزءًا من حياتها الطويلة بخيرها وشرها، وتشعر أنها عاشت كثيرًا جدا جدا رغم سنِّها الصغيرة.

وكانت أحيانا تتخيل نفسها بعدما خرجت من بيت الزوجية وهي تكلِّم جنينها:

– سأحبُّك كثيرًا جدًّا.. ولن أتركك أبدًا أبدًا.. وسواء رجعت لوالدك أو لم يكن هناك نصيب، أنت جزء مني.. لا ينفصم عن الكل.

"كل الناس تسمع صوتي إلا أنت تسمع قلبي"[٢]

ولما كبر الجنين في بطنها.. وعرفت بالسونار أنه ولد.. صارت تكلمه باسمه:

– تعرف يا إلهامي من أطلق عليك هذا الاسم.. فوزي..

تسأل من فوزي؟ والدك..

صحيح أنه اسم عمي أنا؛ لكن والدك هو من سمَّاه.

كان طيبًا.. لا أعرف لماذا انقلب عليَّ؟! أتعرف أنت؟ بالتأكيد عندما تكبر ستعرف.. ستسأله وستقول لي..

وأنا سأنتظر حتى تقول لي.. نعم سأنتظر.. سأؤجِّل كل شيء وأنتظر.. حتى الموت سوف أؤجِّله لأجلك وأنتظر.

وكانت تتخيَّل أنه يكلمها.. يقول لها:

– لا تحزني يا أمي.. قد جعل الله تحتك سَريًّا.. لكنه كان يضحك عليها هو أيضا.. خدعها هو أيضا.. لم يبقَ داخلها حتى يولد.. وحتى يكبر وحتى يأتي لها بسرِّ أبيه..

لماذا يا ولدي تفعل بي هذا.. لماذا تخدعني مثلهم؟!

وثلاثمائة لماذا ولا جواب.

**

انتهت

# المؤلفة

**نادية كيلاني:**

**ـ عضو اتحاد كتاب مصر/ عضو رابطة الأدب الإسلامى/ عضو نقابة الصحفيين /عضو مجلس إدارة نادي القصة سابقا/ عضو مجلس إدارة نادي الأدب بثقافة الجيزة سابقا/ عضو جمعية الأدباء.**

**ـ معتمدة مؤلفة دراما ومتحدثة بالإذاعة المصرية.**

**المؤهل: ليسانس لغة عربية وعلوم إسلامية (كلية دار العلوم).**

**العمل: صحفية بدار الهلال/ وموقع المشهد الإلكتروني.**

**الإصدارات:**

**القصة القصيرة وارواية:**

**.(حب لم يعرفه البشر)– رواية –١٩٨٧.**

**.(أشجان) – رواية– ٢٠١٧**

**.(اتهام) ٣٣ قصة– الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٧.**

**.(إحراج) ٢٢ قصة– سلسلة الكتاب الفضي بنادي القصة ٢٠٠١.**

**.(إلكترومانسي) ١٥ قصة من وحي النت ٢٠١٥.**

**.(عيني عينك) ١٨ قصة – المؤلفة– ٢٠١٦.**

**.(عمتي.. معزوفة أبدية)١١ قصة– مكتبة جزيرة الورد للطبع والنشر ٢٠١٦.**

**.(إبليس في أجازة – مسرحية)– (نشر إلكتروني) دار الصداقة للثقافة والنشر. ٢٠١٠.**

**الشعر:**

**. (بين الغيوم والقمر) – ديوان – مكتبة الآداب– ٢٠١١**

**. (طفولة المطر) ديوان – مكتبة جزيرة الورد– ٢٠١٧**

**. (مُحَمَّد وصاحباه) السيرة النبوية بعيون شعرية– ٢٠١٩**

**كتب أخرى:**

**. (الأبراج ) (بحث فى علم الفلك) مركز الراية للنشر والإعلام ١٩٩٦**

**. (أيام مع يحيي حقي) – سيرة ذاتية غيرية– المؤلفة ٢٠٠٥**

**. (الحجاب رؤية إسلامية دائمة): ردا على كتاب (الحجاب رؤية عصرية) دار اسلام شمس للنشر. ٢٠٠٨.**

**. (احترم نفسك) دار الصفا للنشر والتوزيع ٢٠١٥.**

**وللأطفال:**

**ـ (الأستاذ فوازيرو: اسمك معلومة وفزورة)– الهيئة العامة للكتاب من بداية من ٢٠٠٤ ومستمرة حتى الآن.. صدر (تسع وثلاثون اسما في ثلاث عشرة جزءا) تعد موسوعة في معنى الأسماء في اللغة والعلم والتاريخ والصناعة والتجارة وتداعي معانيها.**

**. (مغامرات ندي) ٩ قصص– عن سلسلة الأولاد والبنات– دار الهلال. ٢٠١٣.**

**ـ (جولة مع عروس النيل: عشرة أجزاء) سلسلة الأولاد والبنات– دار الهلال ٢٠١٥**

. ( مشاكس والشهور الميلادية: ١٢ جزءً). دار الصفا .٢٠١٧ .

تحت الطبع:

. (امم أمثالكم) مجموعة على لسان الحيوان والطير .

. (ولحم طير مما يشتهون) قصص متنوعة.

. (سلسلة فضائل الشهور العربية: ١٢ جزءً) .

وعدد من أغاني الأطفال.

دراسات إسلامية:

. (عجائب سورة البقرة) . (عجائب سورة النور) . (عجائب سورة العنكبوت)

. (الإمام مالك بن أنس)–(الإمام أبو حنيفة النعمان)– (الإمام أحمد بن حنبل).

. (الإيتيكيت في الاسلام) . (حقائق مذهلة في جسم الانسان) . (موسوعة الدعاء المستجاب) كلها تصدر عن مركز الراية للنشر والإعلام.

أعمال إذاعية:

سهرات درامية بعنوان:

. (أمي ولكن) – البرنامج العام.

. (السلطان والراعية) –صوت العرب.

. (ابنة المليونير) البرنامج العام.

. (عاشت الأسامي) برنامج رمضاني ثلاثون حلقة– البرنامج العام.

قرئ الكثير من القصص بالبرنامج الثقافي، وقصائد بالبرنامج العام.

دراسات عن المؤلفة:

. (هؤلاء كتبوا للأطفال) إعداد «محمود قاسم» المجلس الأعلى للثقافة– المركز القومي لثقافة الطفل–١٩٩٩).

. (سيرة أدبية على أريج صدانا)– شبكة صدانا الثقافية– الجزء الأول.

كتابات نقدية

ـ (هن في قلب مصر) «فاطمة الزهراء فلا» مكتبة جزيرة الورد. ملامح بعض الشخصيات المعتبرة.

.(القصة القصيرة المعاصرة– ٢٠٠١) «دكتور صابر عبد الدايم» دراسة لقصة إحراج.

ـ (اتجاهات جديدة في القصة المعاصرة) أبحاث مؤتمر القصة– اتحاد الكتاب يناير– ٢٠٠٨

. (هموم القصة القصيرة–٢٠٠٨) «دكتور جمال عبد الناصر» كتابات الاتحاد.

. (القصة امرأة– ٢٠١٠) «مُحَمَّد محمود عبد الرازق» الهيئة العامة لقصور الثقافة.

.نوقشت الأعمال في المحافل الأدبية والإذاعة والتليفزيون.

ترجمة معجم البابطين للشعر–الطبعة الثالثة ٢٠١٣.الجزء التاسع

* ترشح الكتب في القائمة الببليوجرافية المعيارية للكتب المختارة لمكتبات المدارس منذ ديسمبر– ٢٠٠٥ وحتى الآن.

nadiakelany@windowslive.com

http://nadiakelany2012.blogspot.com

# الفهرس

(نادين) بداية أولى..... ٥
(ندوش) بداية أخرى..... ١٤
(نادين) المواجهة..... ١٨
(ندوش) الجدة..... ٢٢
(ندوش) الجد..... ٢٦
(نادين) أين جمال..... ٢٩
(ندوش) سيدة البيت..... ٣٢
(نادين) اعتراف..... ٣٧
(ندوش) الأم..... ٤٢
(نادين) الأب..... ٤٥
(ندوش) الحال غير الحال..... ٥٠
(ندوش) شيرين..... ٥٣
(نادين) من أنت..... ٥٦
(ندوش) عند الامتحان..... ٦١
(نادين) ابتسامة المهزوم..... ٦٥
(ندوش) ولاء..... ٦٧
(ندوش) مصطفى..... ٧٠
(نادين) مشيئة الله..... ٧٣
(ندوش) اكتشاف..... ٧٥
(ندوش) الوهم..... ٧٩

(نادين) جمع الأدلة.....٨٢
(ندوش) سهير.....٨٦
(ندوش) سهير ٢.....٩٠
(نادين) أم جمال.....٩٤
(ندوش) ثورة الأم.....٩٨
(نادين) أمل.....١٠٣
(نادين) أمل ٢.....١٠٦
(ندوش) أم ولاء.....١١١
(نادين) العمل ثم العمل.....١١٥
(ندوش) رب ضارة.....١١٨
(نادين) ذو حدين.....١٢١
(ندوش) ليلة العيد.....١٢٣
(نادين) تراكم الصور.....١٢٨
(ندوش)إلهامي.....١٣٠
(ندوش) ذكريات.....١٣٣
(نادين) نأخذ بثأره.....١٣٩
(ندوش) تجد عملا.....١٤١
(....) لحظة صدق.....١٤٦
(....) عريس الهنا.....١٥٠
(....) وتم الزفاف.....١٥٣
(....) القادم أسود.....١٥٦
(....) سامي.....١٦١

(....) المفاجأة..... ١٦٤
(....) سامي٢.....١٦٦
(....) الأم.....١٦٩
(....) مفتاح الكرار.....١٧٣
(....) استحالت العشرة.....١٧٧
(....) الخوف من المجهول.....١٨١
(....) وعاد لأمه.....١٨٤
(....) فوزي١.....١٨٧
(....) فوزي٢.....١٩١
(....) هل ظلمناها.....١٩٣
(....) أين نادين.....١٩٧
(....) إلهامي.....٢٠٢
(....) إلهامي٢.....٢٠٦
(....) ولا جواب.....٢٠٩
المؤلفة .....٢١٣